

تربية الإرادة فى الفكر الإسلامى

إعداد

د/ فاطمة عبدالغنى عبدالله

مدرس أصول التربية
كلية التربية - جامعة الزقازيق

أ.د/ محمد على عزب

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية
كلية التربية - جامعة الزقازيق

تربية الإرادة فى الفكر الإسلامى

تربية الإرادة فى الفكر الإسلامى

أ.د/ محمد على عزب و د/ فاطمة عبدالغنى عبدالله*

مقدمة:

لا يزال الفكر الإسلامى مدداً لا ينضب وكنزاً لا يفنى ونبعاً لا يجف، ويحتاج إلى فكر ثاقب لكي نستمد منه ما يفيدنا فى كافة أمور حياتنا ويؤكد هذه المقولة إن الحضارة الأوربية قامت على أساس الإفادة من هذا الفكر وترجمته. وحدث هذا فى كافة العلوم والمجالات والمؤلفات التي قد لا نعرف - نحن المسلمون - عنها شيئاً، وهذه المسألة أصبحت حقيقة لا تحتاج إلى المزيد من الأدلة والبراهين لإثباتها.

ونحن لا ندعي أن الحضارة الإسلامية قامت من فراغ ولكنها اعتمدت هي الأخرى على الإفادة من الحضارات الإنسانية فى كافة العلوم والمجالات والمؤلفات التي تمت ترجمتها إلى العربية. والفكر الإسلامى ما زال غنياً ويحتاج إلى المزيد من الدراسة والتمحيص لكي نستخلص منه ما نفيد منه فى حياتنا.

وللأسف الشديد نحن ننتظر حتى تظهر النظريات والأفكار والتطبيقات ثم نجد أنها موجودة مسبقاً فى فكرنا الإسلامى وبالتالي نظل - نحن - تابعين رغم أن من صنعوا الحضارة الإسلامية كانوا سابقين لمن ندين لهم بالتبعية اليوم. وإذا ما خصصنا الكلام وقصرناه على ما نحن بصدده بالنسبة للتربية بصفة عامة وتربية الإرادة بصفة خاصة فيمكن القول: إن الدين الإسلامى كان من أولويات أهدافه تربية جوانب الإنسان المختلفة وعقله ونفسه وقلبه وجسمه - ثم بعد ذلك تعليمه كيفية العقيدة والعبادة والمعاملات الحياتية بأسرها.

والدين الإسلامى اهتم بقضية الأخلاق والآداب والفضائل وإكسابها وتعليمها بل وتربيتها منذ الصغر. والفكر الإسلامى لا يزال خصباً بمثل تلك القضايا التي تمس تربية الأخلاق والفضائل وعلاج الرذائل وأمراض النفس وتربية القلب والجسم

-
- - أ.د/ محمد على عزب: أستاذ ورئيس قسم أصول التربية-كلية التربية - جامعة الزقازيق.
 - د/ فاطمة عبدالغنى عبدالله: مدرس أصول التربية-كلية التربية - جامعة الزقازيق.

(الجوارح) وما يتطلبه ذلك من ضرورة فهم طبيعة النفس وجوانبها والقلب وجوانبه والجسم (الجوارح) وقبل كل ذلك العقل وطبيعته وماهيته وجوانبه... إلخ. وقضية الإرادة وتربيتها تتعلق بشكل أو بآخر بهذه المواضيع. وقد يظهر ذلك جلياً في تعريف الإرادة وأنها تتصل بالميل والاعتقادات وهي ثمرة للمعرفة والتجربة والتربية وهي أساس المعرفة والسلوك في نفس الوقت وهي جهد نفسي يقوم عليه الإدراك الذهني والصمود ورباطة الجأش. وهناك إرادات متعددة مثل: إرادة الاعتقاد (الله) وإرادة الحياة وإرادة الخير وإرادة القوة (الوجود) والمهم في هذه المسائل كلها كيف يمكن تربية تلك الإرادة وهذا ما تحاول الدراسة الحالية البحث عنه والإجابة عليه.

مشكلة الدراسة وتساولاتها:

تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي:

كيف يمكن تربية الإرادة من خلال الفكر الإسلامي؟ وينبثق من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما معنى الإرادة وأنواعها وأهميتها؟
- ٢- ما أهم جوانب تربية الإرادة في الفكر الإسلامي؟
- ٣- ما دور الشيخ أو المعلم في تربية الإرادة في الفكر الإسلامي؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تعرف:

- ١- مفهوم الإرادة وأنواعها وأهميتها في الإسلام.
- ٢- مفهوم تربية الإرادة في الإسلام.
- ٣- جوانب تربية الإرادة والتي تتمثل في جوانب وأحوال وصفات وأفعال ثلاثة: جانب مع الله، جانب مع النفس، جانب مع الغير.
- ٤- دور الشيخ أو العالم في تربية إرادة الطلاب من خلال إبراز ما ينبغي على الشيخ أو العالم فعله تجاه الطلاب ليربي إرادتهم، وما ينبغي على الطلاب فعله تجاه الشيخ أو العالم لتربي إرادتهم.
- ٥- الوصول إلى بعض التوصيات التي يمكن من خلالها تربية الإرادة في واقعنا التربوي.

أهمية الدراسة:

- ترجع أهمية الدراسة إلى أهمية الموضوع التي تتناوله وتتمثل تلك الأهمية فيما يلي:
- ١- أنها تبحث في فكرنا الإسلامي والذي يحتاج إلى المزيد من الدراسة والدراسة؛ حتى تتجلي كنوزه وتتفجر بناييعه.
 - ٢- أن موضوع تربية الإرادة من المواضيع المهمة في هذا العصر المليء بالمغريات والملهيات التي تحبط إرادتنا وتثبطها وتضعفها.
 - ٣- أن موضوع تربية الإرادة يتغلغل في كافة جوانب الإنسان ولا غرو إذا قلنا أنه من الموضوعات البكر التي نحن بحاجة إلى دراستها في فكرنا الإسلامي.
 - ٤- أننا أحوج ما نكون إلى تربية الإرادة للانطلاق نحو النهضة، خاصة في هذه الآونة وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

حدود الدراسة:

- معروف أن هناك مدارس عدة في الفكر الإسلامي، ومن أبرز هذه المدارس:
- مدرسة النص (الأصولية التي تعتمد على نص القرآن والحديث النبوي).
 - مدرسة العقل (الفلسفة الكلامية)، والتي بدأت بالمعتزلة ووصلت أوجها من خلال مجموعة من الفلاسفة المسلمين أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجه... إلخ.
 - المدرسة التوفيقية: التي وفقت بين العقل والنص والتي بدأت بالأشاعرة، وضمت مجموعة من الفقهاء المسلمين على مر العصور.
 - مدرسة الذوق أو الروح: ويسمىها البعض الصوفية، وهذه المدرسة اهتمت بالإنسان بصفة عامة و الجوانب النفسية والروحية والقلبية بصفة خاصة وما يتصل بها من جوانب لا تزال غامضة وثرية وتحتاج إلى دراسة وتمحيص لكي نفيد منها وهي تلائم هذا العصر الذي يشمل الانحطاط الحضاري لدينا، والازدهار الحضاري لدى الغير وهذه المدرسة تنشأ دائماً لتحل تلك الإشكالية. وسوف تعتمد الدراسة الحالية على فكر أصحاب هذه المدرسة والتي جاءت أقوالهم في رسالة الإمام القشيري وبعض مؤلفاتهم وأبرز أعلام هذه المدرسة أبو طالب المكي والحارث بن أسد المحاسبي والحكيم الترمذي.

منهج الدراسة وإجراءاتها وخطواتها:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاستقراء الفكر الإسلامي، واستنباط معنى تربية الإرادة وجوانبها ودور الشيخ أو المعلم في تحقيقها. وبدأت الدراسة بتمهيد تناولت فيه المقدمة وسؤال الدراسة. ومعنى الإرادة وأنواعها وأهميتها ومعنى تربية الإرادة في الإسلام. وجوانب تربية الإرادة من خلال صفات وأحوال وأفعال مع الله وأخرى مع النفس وأخرى مع الغير. ثم دور الشيخ أو العالم وأهميته في تربية الإرادة وذلك من خلال: إبراز الصفات والأفعال أو الأحوال التي ينبغي أن يتسم بها تجاه الطلاب ليربي إرادتهم أو من خلال الصفات أو الأحوال التي ينبغي أن يتسم بها الطلاب تجاه الشيخ أو العالم لتتربي إرادتهم. وانتهت الدراسة بمجموعة من التوصيات التي يمكن من خلالها الاستفادة من تلك الدراسة في واقعنا المعاش.

مفهوم الإرادة وأنواعها وأهميتها:

١ - مفهوم الإرادة:

جاء في المعجم الفلسفي أن الإرادة تصميم واع على أداء فعل معين، ويستلزم هدفاً ووسائل لتحقيق هذا الهدف وهي وليدة قرار ذهني سابق. وهي النفع، وهي ثمرة المعرفة والتجربة والتربية. وهي صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه، وهي ميل يعقب اعتقاد.

وهي أساس المعرفة والسلوك لأنها جهد نفسي يقوم عليه الإدراك الذهني والصمود ورباطة الجأش. ولا إرادة مع عدم الاستطاعة، وهي مسلمة من مسلمات الفعل العملي. والإرادي قوامه فعل من أفعال الإرادة أو ما ينتج عنه، واللاإرادي كل عمل غير مصحوب بإرادة^(١).

ويمكن القول: أن الإرادة تعني التصميم الواعي على أداء فعل معين لتحقيق هدف وتستلزم تفكير مسبق وميل أو رغبة واعتقاد في أداء هذا الفعل، وهي تتطلب وعياً وجهداً وصموداً ورباطة جأش واستطاعة وتصميم لأداء هذا الفعل، وتتولد الإرادة نتيجة المعرفة والتجربة والتربية.

وفي المعجم الفلسفي أنواع الإرادة، هي:

(أ) إرادة الاعتقاد:

وهي إرادة التسليم بمعتقدات قد لا يبررها العقل ولكن تبررها المنافع العملية التي تنتج عنها، وهي لا تعني إيماناً اعتباطياً لا يميز بين الصحيح والفاقد من المعتقدات، بل تتضمن خياراً أو اختياراً حقيقياً ينشأ من نتيجة لها نفعها أو فائدتها. (ب) إرادة الحياة:

وهي جهد غريزي يحقق به الإنسان نموذج نوعه، ويناضل الكائنات الأخرى للحفاظ على صورة الحياة التي توافرت لديه، وهي غريزة أصلية راسخة في الإنسان ومفروضة عليه بقوة قاهرة، بغض النظر عن رأيه أو شعوره بأن الحياة خير له أم لا؟

(ج) إرادة الخير:

وهي استعداد المرء لبذل أفضل ما يطبق من جهد لفعل الخير، وهي عند كائنا (إرادة العمل بمقتضى الواجب) دون اعتبار لمصلحتنا أو أنانيتنا. (د) إرادة القوة:

وتعني الصراع من أجل الوجود وهي الدافع الحقيقي إلي التطور^(٢).

٢ - الإرادة في الإسلام:

(أ) الإرادة في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ الكهف:

فالإرادة ينبغي أن تكون لله والمريد مريد لله، وأنه لا سبيل إلى الله إلا بسحب الولاء من أهل الكفار والنفاق والفسوق وإعطائه لأهل الإيمان وجماعة المسلمين^(٣).

والإرادة في هذه الآية قد تكون لله وقد تكون للدنيا وزينتها وقد تكون للهوى والغفلة.

ويوصي القرآن الرسول خيراً بالذين يريدون وجه الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]

(ب) الإرادة في السنة النبوية:

والسنة النبوية تبرز نوعين من الإرادة هما الإرادة السيئة والإرادة الحسنة، وترك السيئة وعمل الحسنة من الأمور التي تعتبر إرادة بمعنى الإصرار على بيان العمل وإظهاره وليس تركه.

وفي الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم رقم (١٢٩) من حديث أبي هريرة " قالت الملائكة: يا رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي".

ويعقب مصطفى زيد على هذا الحديث بقوله والفعل دون هم سابق (أي دون إرادة) لا يعتد به، كأن يكره مؤمن على ارتكاب معصية أو على النطق بكلمة توحى بكفره، وهو لا يريد العصيان ولا يريد الكفر، ونفس الكلام ينطبق على الذي يفعل الثواب دون إرادة أو رغبة فيه.

والأعمال توزن وتعتبر بالإرادة التي حفزت إليها، وأنه لا ثواب لمحسن ولا عقاب على مسيء إلا حين تدفع إلي الإحسان نية الإحسان وحين تقع الإساءة بنية الإساءة^(٤).

ولا إرادة في السنة النبوية مع الخطأ والنسيان والاستكراه. لحديث الرسول ﷺ "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"، ذلك أن المخطئ والناسي والمكره لم يتوفر فيهم عنصر الإرادة حين الفعل، والمكره لم يتوفر فيه عنصر القدرة^(٥).

والإنسان في السنة النبوية يجب ألا يحمل نفسه فوق طاقته في مسألة الإرادة وفي الحديث النبوي الشريف: خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا" أخرجه مالك والشيخان والنسائي.

(ج) الإرادة في الفكر الإسلامي:

هي بدء طريق السالكين إلي الله، وهي اسم لأول منزلة القاصدين إليه، وسميت هذه الصفة إرادة لأنها أي الإرادة مقدمة كل أمر، وإذا لم يرد العبد شيئاً لم يفعله. والمريد على موجب الاشتقاق من له إرادة كما أن العالم من له علم.

وإرادة المريد: ترك ما عليه العادة، وعادة الناس في الغالب الإقامة في أوطان الغفلة والركون إلى إتباع الشهوة والإخلاق إلي ما دعت إليه الأمنيات.

وحقيقة إرادة المرید: نهوض القلب في طلب الحق سبحانه، ويقال عن الإرادة: أنها لوعة تهون كل روعة (فزعة)^(٦).

والإرادة في الفكر الإسلامي طريقة وسلوك، وهي غاية عليا وهدف أسمى يمكن التعبير عنه بأنه التقرب إلى الله بقدر ما يملك من الطاقة، فهي تحتاج إلى سعي مستمر وعمل دؤوب وإقبال لا يفتر على الله حتى تتحقق الغاية منها أي الإرادة، وعند الغزالي أن كل من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مریداً حرث الآخرة، وعنده أن الإرادة ليست مجرد المعرفة والعلم والتمني ولكنها تتطلب انبعاثاً صادقاً صحيحاً^(٧).

ومما سبق يتضح أن الإرادة في الفكر الإسلامي تعني مقدمة القصد والسير إلى الله وهي تأتي نتيجة معرفة وعلم وتمني بالله وبالأخرة وتتطلب همة وجهد ونشاط.

(د) مساعدات الإرادة في الفكر الإسلامي:

والمرید طريق الله تمر عليه فترات من الكسل وذلك شئ عادي، وهناك أمور تزيد من إقبال الإنسان إلى الله وتجدد همته منها حضور مجالس العلم والذكر وقراءة القرآن والمطالعة والمذاكرة خاصة في كتب السير إلى الله وقصص الصالحين وهذه الأمور تنشط السير إلى الله وتجدد الهمة.

والمرید كذلك إذا وجد من نفسه فتوراً حاول أن يحتفظ بحد أدنى من العمل، وإن فاته هذا الحد حاول أن يقضيه وليعلم أن لكل قلب طاقه معينه. على تحمل ثقل الأعمال، وإذا حمل القلب فوق طاقته ربما حدثت فيه انتكاسه، وكذلك النفس إذا حملت فوق طاقتها أو لم تعط حاجتها الضرورية أو بعض مطالبها المباحة فأنها تغلب الإنسان عندئذ^(٨).

وهذا يعني أن عدم تحميل القلب أو النفس أو الجسم فوق الطاقة من الأمور التي تنشط الإرادة وتحد من قدرتها، هذا بالإضافة إلى حضور مجالس العلم والذكر والقراءة.

٣- أهمية الإرادة في الإسلام:

الإنسان يستطيع من خلال الإرادة التغلب على الغريزة والانتصار عليها حين تحاول الإسفاف، والتغلب على الهوى حين يزين له السقوط، والتغلب على النفس حين تنسى المثل العليا وتحاول أن تهوى به وتتحدّر، فتمدها الإرادة بعوامل السمو حين تتنابها لحظات ضعف^(٩).

والإرادة في الإسلام تؤدي إلى عزم الأمور، والفرق الجوهرى بين إنسان ناجح في حياته، وإنسان فاشل هو أن الناجح عرف كيف يريد فيحدد منذ البداية رسالته في حياته ورسم الخطة لتحقيق هذه الرسالة ثم شحذ إرادته فاستخرجت قواه، وكفلت له الوصول إلى غايته، أما الفاشل فلم يحدد لحياته غاية ولم يسر فيها وفق خطة مدروسة هادفة لأنه عاش بلا إرادة فبدد قواه^(١).

١ - مفهوم تربية الإرادة في الفكر الإسلامي:

إذا كانت التربية تعنى تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية، كي تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف، وهي علم يبحث أصول هذه التنمية ومناهجها وعواملها الأساسية وأهدافها الكبرى وهي ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها^(١).

فتربية الإرادة في ضوء هذا المعنى وفي ضوء تعريف الإرادة تعنى: تنمية التصميم والقدرة على أداء فعل معين لتحقيق هدف أو غاية، وهذه تتضمن تنمية جوانب عقلية ووجدانية وجسمية وحياتية (اجتماعية) بهدف القصد إلى منهج الله.

٢ - أهداف تربية الإرادة في الفكر الإسلامي:

يمكن تحديد أهداف تربية الإرادة فيما يلي:

أ - السلامة والاستقامة والحكمة:

يقول سعيد حوى: إنه بعد تربية الإرادة من خلال السير الكامل إلى الله عز وجل - أي عندما يصبح التركيب العام للإنسان كله سليماً - تنبثق الأشياء كلها على ضوء العلم، وإذ بالتصرفات كلها في غاية السلامة والاستقامة والحكمة، فالسير إلى الله الناجم عن تربية الإرادة منتهاه أن يصبح الإنسان حكيماً، يضع الأمور في مواضعها، والحزم في محله، والشجاعة في محلها والتأني في محله، والمخاطر في محلها وبذل المال في محله، وبذل النفس في محله^(٢).

ب - تفجير الطاقات البشرية كلها في إطارها الصحيح:

يقول سعيد حوى فالسير إلى الله وتربية الإرادة يوصلان الإنسان إلى أن تتفجر الطاقات البشرية كلها في إطارها الصحيح - طاقة العقل وطاقة الروح، وطاقة الجسم، وطاقة القلب، وطاقة النفس في الحياة الاجتماعية وفي الحياة

السياسية وفي الحياة الاقتصادية وفي دائرة الأسرة والحي والقطر والأمة الإنسانية^(١٣).

ج - الخلق العظيم:

الخلق في الإسلام له مكانة عظيمة، والقرآن مدَّح النبي صلى الله عليه وسلم

بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وعن أنس قال: قيل يا رسول الله: أي المؤمنين أفضل إيماناً قال "أحسنهم خلقاً" أخرجه البخاري.

وأفضل ما يوضع في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة "الخلق الحسن".

وهناك تعريفات عدة للخلق عند المفكرين المسلمين ذكرها الإمام القشيري في

رسالته منها:

- الخلق العظيم: ألا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله.
 - علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤنة (الشدة).
 - الخلق: أن تكون من الناس قريباً، وفيما بينهم غريباً (لا تميل لأحد على حساب الآخر).
 - الخلق: قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا ملل.
 - الخلق الحسن: احتمال المكروه بحسن المداراة (الكتمان).
 - حسن الخلق: ألا تتغير ممن يقف في الصف بجنبك^(١٤).
- والخلق بهذا المعنى يأتي نتيجة لتربية الإرادة ولعل هذا سيتضح أكثر حينما نتحدث عن العلاقة المتبادلة بين الأخلاق الحسنة وتربية الإرادة كغاية ووسيلة.

د - حسن الأدب:

وحسن الأدب غاية من غايات تربية الإرادة في الفكر الإسلامي، والأدب في الإسلام له مكانة عظيمة، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي " أخرجه السمعاني عن ابن مسعود.

ويذكر القشيري تعريفات عدة للأدب عند المفكرين المسلمين منها:

اجتماع جميع خصال الخير، الوقوف مع المحسنات، أن تعامل الله بالأدب سرّاً وعلناً، معرفة بربوبيته وعملاً بطاعته، والحمد لله على السراء، والصبر علي الضراء، والتفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عز وجل.

- والناس في الأدب: القوم الذين استعانوا بالله، على أمر الله، وصبروا على آداب الله، والناس في الأدب على ثلاث طبقات:
- أما أهل الدنيا، فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.
 - وإما أهل الدين، فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.
 - وأما أهل الخصوصية (العارفون بالله) فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب^(١٥).
- والأدب كغاية من غايات تربية الإرادة سيتضح أكثر عند الحديث عن العلاقة بينهما كغاية ووسيلة. ونشير هنا إلى أن مفهوم الأدب أعم وأشمل من مفهوم الخلق، كما أن كليهما يشمل علاقة الإنسان بالله وبالغير وبنفسه والأدب يشمل الثقافة والمعارف والاطلاع...إلخ. ونعرض فيما يلي لكيفية تربية الإرادة في الفكر الإسلامي.

جوانب تربية الإرادة في الفكر الإسلامي:

يمكن تصنيف جوانب تربية الإرادة إلى أربعة جوانب كل منها يتطلب تصميم وقدرة على أداء أفعال وسلوكيات، وتتضمن تنمية جوانب عاطفية وعقلية واجتماعية وهذه الجوانب، هي:

الجانب الأول: حال الإنسان مع الله:

يمكن تربية الإرادة لدى الإنسان من خلال مجموعة من الأفعال والسلوكيات التي يقوم بها في حاله مع الله، وهذه الأفعال تتضمن تنمية التصميم والعزم وجوانب وجدانية وعقلية واجتماعية، وقد أمكن تصنيف تلك الأفعال والسلوكيات إلى:

١ - المعرفة:

من أقوال المفكرين المسلمين في المعرفة: إن دعامة البيت أساسه، ودعامة الدين المعرفة، والمعرفة صفة من عرف الله بأسمائه وصفاته وصدقته في معاملته، وتنقي عن آفاته، وطال وقوفه بالباب، ودام بالقلب اعتكافه، وصدق في

جميع أحواله، وانقطع عن هواجس نفسه، ولم يصنع بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره (أي الله)، ويصير من الخلق أجنبياً، ومن آفات نفسه بريئاً، ودام مع الله مناجاته ورجع إليه بحق في كل لحظة^(١٦).

هذه هي الأفعال التي ينبغي أن يقوم بها الإنسان في علاقاته مع ربه لكي يصبح عارفاً ملهماً من قبل الحق بتعريف أسرارهِ فيما يجريه من تصاريف أقداره.

ومن كان بالله أعرف كان له أخوف، وكلما ازداد الإنسان معرفة وعلماً بربه عز وجل استتار قلبه وصدوره وانتقص من الغفلة حتى يمتلأ صدره من عظمة الله، فلا يرغب إلا إليه ولا يهرب إلا منه ولا يغضب إلا في ذات الله ولا يشتغل بشهوة^(١٧).

فالمعرفة هنا صفة لمن عرف أسماء الله وصفاته، وانعكس ذلك على معاملاته وأخلاقه وأحواله وخوفه من الله، وبالتالي تترى إرادته، والمعرفة تتضمن: - **التوحيد**: أي الحكم بأن الله واحد والعلم بقدرته في الأشياء وصنعه لها بلا علة وإفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته مع نفي الأضداد والأنداد والأشباه وكمال الاشتغال بالله، وإسقاط الوسائط بين العبد وبين الله والرضا بما يجريه الله والشهادة بصحة الشريعة^(١٨).

- **اليقين**: وهو من زيادة الإيمان وشعبه، وهو علم مستودع في القلوب وابتداء اليقين المكاشفة ثم المعاينة ثم المشاهدة وهو تحقق الأسرار بأحكام الغيبات، وهو داع إلى قصر الأمل واليقين رؤية العيان بقوة الإيمان وزوال المعارضات وارتفاع الريب في مشهد الغيب واليقين عرف الله^(١٩).

- **الفراسة والتوسم**: والفراسة مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب، والذي يملك الفراسة هو المستنبط (أي الذي يقوم بالاستنباط). والمتوسم هو الذي يعرف الوسم (أي العلامة)، وهو العارف بما في سويداء القلب بالاستدلال والعلامات، والمتفرس ينظر بنور الله فيدرك المعاني، ومن غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره إتباع السنة، وتعود أكل الحلال لم تخطيء فراسته^(٢٠).

فالمعرفة إذن تتضمن التوحيد واليقين والفراسة والتوسم وهى أمور تزيد من معرفة الإنسان بالله والعارف بالله يتصف بصفات ويقوم بأفعال، ويمتنع عن أشياء، وكل هذا يسهم فى تربية إرادته.

٢ - المراقبة وتحري الخواطر:

والمراقبة علم العبد بإطلاع الرب سبحانه وتعالى، وهذا أصل كل خير والإنسان يصل إلى هذه المسألة نتيجة للمحاسبة المستمرة على ما سلف وإصلاح حاله وملازمة طريق الحق، وإحسانه ما بينه وبين الله ومراعاته لقلبه ومراقبته لربه فى جميع أحواله وعلمه بأن الله عليه رقيب ومنه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله^(٢١) وهذه الأحوال والأفعال والصفات التى تتضمنها المراقبة تسهم فى تربية الإرادة.

ويتعلق بالمراقبة مسألة تحري الخواطر، والخاطر خطاب يرد على الضمائر، وقد يكون بإلقاء ملك وقد يكون بإلقاء شيطان، أو أحاديث نفس أو من قبل الله سبحانه وتعالى، وإن كان من الملك فهو إلهام، وإن كان من النفس فهو الهاجس، وإن كان من الشيطان فهو وسواس، وإن كان من الله فهو خاطر حق، والذي من قبل الملك نعرف صدقه بموافقة الكتاب والسنة، والذي من قبل الشيطان يدعو إلى المعاصي، والذي من قبل النفس يدعو إلى إتباع شهوه، والفرق بين هواجس النفس ووساوس الشيطان، أن النفس إذا طالبت صاحبها بالشيء ألحت، فلا تزال تعاوده حتى تصل إلى مرادها ويحصل مقصودها إلى أن يدوم صدق المجاهدة، ثم أنها تعاوده وتعاوده، أما الشيطان إذا دعا إلى زلة فخالفه الإنسان فيوسوس له بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء.

أما الخاطر الذى من قبل الملك فقد يوافق الإنسان أو يخالفه، وأما الخاطر الذى من قبل الحق سبحانه وتعالى فلا يحصل خلاف من العبد له^(٢٢).

والمهم معرفة أن تحرى الخواطر التى ترد على الإنسان، ومخالفتها إن كانت من قبل النفس أو الشيطان، وموافقها إن كانت من قبل الملك صفات أو أحوال أو أفعال تربي إرادة الإنسان أو تسهم فى ذلك كما أن الامتناع عن الفعل فى حال كون الخاطر من النفس أو من الشيطان إرادة.

٣ - المحبة والولاية:

محبة العبد لله حالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة (أي يدق التعبير عنها) وتحمله تلك الحالة عن التعظيم له وإيثار رضاه والاحتياج إليه وعدم القرار من دونه والاستئناس بدوام ذكره.

وحب الله يتضمن مجموعة من الأفعال، هي:

- إيثار المحبوب على جميع المصحوب.
- موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. - مواطاة القلب لمراد الرب.
- معانقة الطاعة ومباينة المخالفة. - بذل الجهد.
- الميل إلى المحبوب وإيثاره على النفس والروح والمال والموافقة له سرّاً وجهراً^(٢٣).
- أن تتقدم محبة الله على جميع المحاب، وإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى وهذا أمر سهل بالدعوى، وصعب بالفعل على حد تعبير بن قيم الجوزية وكثيراً ما يقدم العبد ما يحبه هو أو يحبه كبيره أو أميره أو شيخه أو أهله على ما يحبه الله تعالى^(٢٤).

وهذه الأفعال والصفات والأحوال التي يقتضيها حب الله والتي يقوم بها العبد تربي إرادة الإنسان، وبالنسبة للولاية فالولي هو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، وهو الذي تتوالى أفعاله على الموافقة والولي لا يرائي ولا ينافق وعلامة الولي شغله بالله وفراره إلى الله وهمه بالله^(٢٥).

ونلاحظ هنا أن الولاية مسألة تتجم عن المحبة، وهما يتضمنان القيام بأفعال أو سلوكيات أو الاتصاف بصفات يمكن أن تسهم في تربية الإرادة لدى الإنسان.

٤ - الحياء:

الحياء يتضمن أفعالاً وسلوكيات وصفات تربي الإرادة، وفي الحديث النبوي من استحيا من الله حق الحياء: فليحفظ الرأس وما وعي وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء أخرجه أحمد من مسنده.

ومن علامات المستحي ألا يرى بموضع يستحيا منه، والحياء رؤية الآلاء (النعم) ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء^(٢٦).

وباستقراء الأفعال التي يتضمنها الحياء مثل حفظ الرأس، وحفظ البطن، وذكر الموت، وترك زينة الدنيا أو الزهد فيها، وألا يكون الإنسان على هيئة يستحي

فيها النظر إليه، ورؤية آيات الله وإدراك التقصير فكل هذه الأفعال تربي الإرادة وتربي الحياء.

كما أن الحياء يقتضى الامتناع عن بعض الأفعال المرغوبة للإنسان والتي نهى الله عنها والامتناع عن الفعل يقوي العزم ويربي الإرادة.

٥ - التقوى والخوف:

بالنسبة للتقوى فحقيقتها: التحرز بطاعة الله عن عقوبته وأصل التقوى إتقاء الشرك، ثم إتقاء المعاصي والسيئات، ثم إتقاء الشبهات ثم يدع الفضول، والتقوى ترك الذنوب كلها ومجانبة ما يبعد عن الله وظاهر التقوى حفظ الحدود وباطنها النية الحسنة والإخلاص^(٢٧).

فالتقوى هنا تتضمن أفعالاً وأحوالاً وصفاتاً تربي الإرادة، والخوف بمعنى التقوى، ولكنه يتعلق بالمستقبل أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب، ويعني الخوف من عقاب الله في الدنيا أو الآخرة ويعني توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس، وينجم الخوف من قوة العلم بمجاري الأحكام، والخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان والخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه، والخائف هو الذي يهرب إلى ربه^(٢٨).

فالخوف هنا يتعلق بالمستقبل، ويتصل بالتقوى وينجم عنه الامتناع عن أفعال نتيجة هذا الخوف وهذا الامتناع يربي الإرادة.

٦ - الورع والخشوع:

الورع والخشوع مرتبة تالية للتقوى والخوف، وبالنسبة للورع يتضمن ترك الشبهات وترك الفضلات (ما لا تدعو إليه حاجة دينيه)، وترك المحرم والمكروه وما فيه شبهه، والورع الظاهر ألا يتحرك الإنسان إلا لله، والورع الباطن ألا يدخل قلبك سوى الله، والورع الخروج عن كل شبهه ومحاسبة النفس فى كل لحظة، والورع: ترك ما حاك في النفس^(٢٩).

وبالنسبة للخشوع فيتضمن الانقياد للحق والاستسلام له وترك الاعتراض عليه، وخشوع القلب قيد القلوب عن النظر، والخشوع هو الخوف الدائم اللازم للقلب والخشوع محله القلب وذويانه وانخناسه عند سلطان الحقيقة، والخشوع في الصلاة ألا يعرف من على يمينه ومن على شماله^(٣٠).

ويتضح هنا أن الورع والخشوع يتضمنان الامتناع عن القيام بأفعال معينة نتيجة لهذا الورع، بالإضافة إلى القيام بأفعال أخرى والاتصاف بصفات وأحوال معينة وهذه كلها أمور تسهم في تربية الإرادة.

٧ - الإخلاص والصدق:

الإخلاص والصدق يتضمنان مجموعة من الأفعال التي تربي إرادة الإنسان، ومن هذه الأفعال إفراد الحق في الطاعة بالقصد، بمعنى: إرادة التقرب إلى الله في الطاعة، دون أي شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمداً من الناس، أو محبة مدح من الخلق^(٣١).

والإخلاص تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين، وهو نسيان رؤية الخلق، بدوام النظر إلى فضل الخالق، وهو أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن، وألا تشهد على عملك غير الله وألا تريد للعمل عوضاً^(٣٢).

وبالنسبة للصدق فهو قريب المعنى من الإخلاص، ويتضمن مجموعة الأفعال تربي الإرادة مثل استواء السر والعلن، والقول بالحق في مواطن الهلكة والوفاء لله، وأن تصدق في مواطن لا ينجيك منها إلا الكذب، وأن تكون من الناس كما ترى من نفسك^(٣٣)، وهذه الصفات والأفعال بالطبع تؤدي إلى تربية إرادة الإنسان لأنها تتطلب بذل جهد نفسي وعقلي.

٨- الاستقامة والتحلي بالفضائل:

والاستقامة ثلاث مدارج هي:

- التقويم من حيث تأديب النفس.
- والإقامة من حيث تهذيب النفوس.
- والاستقامة تقويم الأسرار، إضافة أن تشهد للوقت قيامه وترك الغيبة ونفي البدعة ونفي الفترة (الضعف)^(٣٤).

فالاستقامة هنا تتضمن أفعالاً تربي إرادة الإنسان والاستقامة تعني أيضاً التحلي بالفضائل والآداب وهذه من الأمور التي تربي الإرادة لأنها تتطلب بذل جهد وتصميم وعزم، ومن أمثلة التحلي بالفضائل:

الإقبال على الطاعة في جهاد والاستمرار في أداء الفرائض والنوافل بلا تمهل، والانصياع لأوامر الله والتقرب إليه ومناجاته، وأن تكون النية له في كل شيء حتى في المأكل والمشرب والتطيب والرضا والتسليم لمراد الله وتفويض الله

فى الأمر، والتوكل عليه وحفظ العهد معه، وحفظ آداب الشريعة وصون اليد عن الحرام وشدة الحذر من الآفات التى تشوب الطاعات، مداومة الدعاء والذكر والفكر وشدة الحرص على إرادة النجاة^(٣٥) فهذه الآداب وغيرها من الأمور التى تربي إرادة الإنسان؛ لأنها تتطلب بذل جهد وعزم وتصميم وهذا لب الإرادة.

٩ - العبودية:

والعبودية تعني: القيام بحق الطاعات والنظر إلى ما منك بعين التقصير، وهى ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار وهى التبرؤ من الحول والقوة، والإقرار بما يعطيك الله من الطول (الغنى) والمنى، وهى: معانقة ما أمرت به ومفارقة ما زجرت عنه وطرح كل أثقاله على مولاه وصبره على سلواه وعدم الجزع من الجوع والعرى والفقر والذل.

والعبودية أن تسلم إلى الله كلك وتحمل عليه كلك، وهى ترك التدبير وأن تكون عبده فى كل حال، وألا ترد من أحكامه شيئاً ولا تدخر عنه شيئاً ولا تسأل غيره حاجة والوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود^(٣٦) فهذه كلها أحوال وأفعال تدخل فى حيز العبودية وهى تربي الإرادة من خلال ما تضمنه من بذل جهد وتصميم وعزم.

١٠ - التوبة:

تبدأ التوبة بالإحساس الذى يعقب الوقوع فى المعصية، ويختلط فيه الندم على اقترافها بالإصرار على عدم الرجوع إليها، وهى يقظة القلب المؤمن بعد غفلة، وهى ثورة الضمير بعد ركود، والتوبة فرضت على المسلم لتفيقه من عثراته وهو مطالب بالسير مادام دم ينبض فى عروقه، وينبغى المبادرة إليها فور الوقوع فى المعصية، مع صدق العزم على عدم العودة إلى ما وقع فيه التائب من معصية، وهى تتعهد إرادة الإنسان بالتربية بما تقوم عليه من إصرار على تجنب الخطأ، وهذا الإصرار يشحن الإرادة ويقويها حتى تهزم جميع قوى النفس^(٣٧).

والتوبة تتضمن مجموعة من الأفعال التى تربي الإرادة، مثل: ترك اختيار الذنب تعظيماً لله وحزراً من سخطه، والندم على ما عمل من المخالفات العزم على ألا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي.

وتبدأ التوبة بانتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية البعد ما هو عليه من سوء الحالة فإذا فكر الإنسان بقلبه فى سوء ما يصنعه، وأبصر ما هو عليه من قبيح

الأفعال منح في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملات^(٣٨)، بالتالي تتربى إرادته.

١١ - الصلاة:

الصلاة تربي الإرادة، وكان النبي صلي الله عليه وسلم إذ حزبه أمر فزع إلي الصلاة أخرجه أبو داود من حديث حذيفة ١١٣١٩ يقول مصطفى زيد: والصلاة منهج كامل يمكن من خلاله تربية الإرادة من خلال الاستعداد للدخول فيها بالتطهر المادّي لها، واستقبال القبلة وترقب وقتها والتفرغ لأدائها، وبعد ذلك التطهر الروحي لها يترك مشاغل الإنسان من أمور الحياة بل والانتقطاع عن الحياة في إثنائها وبعد ذلك الاستعانة بها علي ما يكرب الإنسان في حياته من مصاعب وأزمات نفسية ومشكلات، أو الفزع إليها كلما أحس الإنسان حاجة إلي الطمأنينة والأمن والثقة ويقدر ما تقام الصلاة تنهي المسلم عن الفحشاء والمنكر وتمنحه الزاد الذي يستطيع به مواجهة متاعب الحياة والتغلب عليها^(٣٩).

١٢ - الحج:

يقول مصطفى زيد: لقد خص الله الحج في كتابة الكريم باستطاعة السبيل إليه والقدرة عليه لمشقة السفر لأدائه، وهو يشحذ الإرادة كما يشحذها السفر ومشتقاته ومن هنا يبدأ عمل الحج في تربية الإرادة.

وتبدأ المرحلة الأولى من الحج عندما يخصص الحاج قدراً من ماله للإنفاق عليه، ويشمل ذلك الراحة والهدى، وهذه مسألة تعين على تقوية الإرادة، وتبدأ المرحلة الثانية بالإحرام والتجرد من الثياب، وتبدأ المرحلة الثالثة بترك كل شيء علي فطرته فلا يقص شعر ولا ظفر.

وفي أداء مناسك الحج من الطواف إلى السعي إلى الوقوف بعرفة إلي رمي الجمار، ثم بقية المراحل تربي الإرادة لأنه لا يستطيع القيام بها إلا صبراً على أدائها^(٤٠).

١٣ - الذكر:

الدعاء ركن قوي في طريق الحق يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]

والذكر في الفكر الإسلامي علي ضربين: ذكر اللسان وذكر القلب، فذكر اللسان يصل به العبد إلى استدامة ذكر القلب وذكر القلب أكثر تأثيراً، والإنسان الذكور بلسانه وقلبه هو الكامل في وصفه في حال سلوكه، وذكر الله سيف المرادين به يقاؤون أعداءهم وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم، والذكر: الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة^(٤١).

والذكر بهذا المعنى يربي الإرادة حيث يحدث من الإنسان ذكر الله باللسان وبالقلب وعند مواجهة الآفات وعند الرغبة في الخروج من ميدان الغفلة، بالإضافة إلى ما يتضمنه من أفعال وأحوال نفسية وقلبية وبدنية تتطلب بذل جهد وعزم وتصميم.

١٤ - الشكر:

يقول: مصطفى زيد: الشكر ليس كلمة تقال مهما تكن رقتها وعدوبتها، وليس هو الحمد والامتنان والثناء علي المنعم المتفضل، وإنما هو عقل ناطق في كل مراحل ومظاهره وبواعثه بعرفان الجميل، ومحاولة استقباله بما هو جدير به، والشكر هو صرف النعم فيما خلقت لأجله واستعمال نعم الله في طاعته، مع التوقي من الاستعانة بها في معصيته.

والعافية نعمة كبرى من الله وشكرها العبادة، والعلم نعمة وشكره استثماره في الصالح العام وتيسير سبل الحياة وتحقيق السعادة للناس والتخفيف عنهم، والعقل نعمة وشكره تسخيرها لما فيه الصالح العام وصالح الغير، والقلب نعمة وشكره الحب للغير، والحواس نعمة وشكرها القيام بواجباتها تجاه الآخر، وهكذا تظهر مكانة الشكر في تربية الإرادة من حيث إن الشاكر يقاوم نزعة في نفسه إلى الجحود، ثم من حيث إنه يغالب غواء الشيطان وإغراؤه إياه بأن يكفر ولا يشكر، وسيمد هذا كله إرادته بعوامل قوتها، ويمكن لها فيرببها التربية المثلي^(٤٢).

وهناك مجموعة من الأفعال يتضمنها الشكر كلها تربي إرادة الإنسان، وسيوضح ذلك من خلال بعض آراء المفكرين المسلمين التي عرض لها القشيري في رسالته عند الحديث عن الشكر.

الشكر: الاعتراف بنعمة المنعم علي وجه الخضوع، والثناء علي المحسن بذكر إحسانه، وإضافة النعمة إلي موليتها وألا تربي نفسك أهلاً للنعمة ورؤية المنعم لا رؤية النعمة وهناك شكر العامة علي المطعم والملبس، وشكر الخواص علي ما

يرد علي قلوبهم من المعاني، وشكر العينين أن تستر عيباً تراه بصاحبك، وشكر الأذنين أن تستر عيباً تسمعه فيه، والشكر هو التلذذ بثأته علي ما يستوجبه عطاءه (٤٣).

ومما سبق يتضح أن الإنسان في مجمل أفعاله المتعلقة بشكره لربه تترى إرادته سواء كانت تلك الأفعال عقلية أم وجدانية أم حسية.

١٥ - السير إلي الله:

يبدأ السير إلي الله بأنبعاث الهمة أي توجه الإرادة إلي الله، ويرافق ذلك تعرف مرشد كامل يسيّر كل إنسان بحسب ما يليق بحاله حسب استعداده، وأن يقبل جميع من يأتي إليه علي أمل إصلاحه، والسائر إلي الله من المفروض أن يكون عنده استعداد للطاعة في المعروف، والولي المرشد يدلّه علي ما ينبغي فعله بما يناسب حاله ويأمره بما يناسب حاله وهمته ووقته ويرى مدي استعداده لسير أرقى وأعلي وتبنيه علي شروط التوبة، ولابد من الاستغفار الكثير والتخلص من حقوق العباد بطريق ذلك وأن يفهم قضيته جماعة المسلمين ووجوب ولاءه لهم، وإذا ظهر الصلاح عند السائر إلي الله تبدأ المرحلة الثانية وهي مطالبته بالمجاهدة المنظمة لنفسه من تعويد لها علي صمت حكيم وجوع هادف وعزلة مربية، وهذه المرحلة بمثابة تطيب الأرض المبدورة وقلع الحشائش الضارة من الأرض وإبقاء النبات الطيب أو بمثابة تقليم الشجر وتخليصه من شوكة وأعواده غير المهدبة، وهي بمثابة تهذيب وتشذيب للإنسان، وإذا لم يتوفر المرشد الكامل وهذه مسألة حقيقة في هذا الزمن، ففي هذه الحالة يكون أدب السائر الإلحاح علي العلم والإكثار من الصلاة علي رسول الله وحسن التأدب مع كل من يمكن أن يأخذ عنه شيئاً ومع المتصدرين للإرشاد، مع تمحيص كل ما يسمعه علي ضوء العلم والفقّه ولا يسمع لدعاوي الجهلة وعدم إعطاء البيعة لأحد من الشيوخ إلا بعد التأكد من صلاحه (٤٤).

ومما سبق يتضح أن السير إلي الله والتوجه إليه بما يتضمنه من انبعاث الهمة والتوبة والاستغفار وأداء حقوق العباد والولاء لجماعة المسلمين يربي الإرادة، والسير إلي الله يحتاج إلي ولي أو مرشد، وإذا لم يجده الإنسان خاصة في هذا الزمان فعليه بطلب العلم والصلاة والسلام علي النبي واحترام جل الشيوخ، والسير

إلي الله بمثابة تطيب للأرض وتقليم للشجر وقلع للحشائش الضارة وتهذيب للإنسان وكل هذا يريه إرادته بالطبع.

الجانب الثاني: حال الإنسان مع نفسه:

نفس الشيء في اللغة وجوده، وهي ما كان معلولاً من أوصاف العبد ومذموماً من أخلاقه وأفعاله.

والمعلولات من أوصاف العبد علي ضربين، أحدهما ما يكون كسباً له كمعاصيه ومخالفاته، والثاني أخلاقه الدنيئة وأشد أحكام النفس وأصعبها توهماً أن شيئاً منها حسن، ومعالجة الأخلاق في ترك النفس وكسرها، وهذا أصعب من مقامات الجوع والعطش وعيوب النفس تتعلق بالشهوات الجسمية مثل شهوة الطعام والشراب ولذات الأبدان، والتخلي عن تلك العيوب مسألة صعبة تتطلب حفظ الشريعة وصون النفس واليد والخاطر عن الحرام والبعد عن المحظور، وألا يتصرف إلا بفقهِ وعلم، وكل إنسان مطالب بتصفية نفسه عن الشوائب والعيوب^(٤٥)، وبالطبع فهذه الأمور في مجملها تؤدي إلي تربية الإرادة وهذا ما سوف تعرض الدراسة إليه لإبراز كيف يتسنى تربية الإرادة من خلال حال الإنسان وصفاته وأفعاله تجاه نفسه.

هناك علاقة وطيدة بين حال الإنسان مع نفسه وصفاته وتصرفاته التي تسلكها نفسه وتربية إرادته إذا اعتبرنا أن الإرادة تمكين للنفس وسلوك ووجدان ويمكن إبراز ذلك من خلال ما يلي:

١ - مكابدة الهوى:

النفس إذا اعتادت اللذة والشهوة والعمل بالهوى، علي الإنسان أن يقبل علي فطمها حتى تعتاد الفطام، والإنسان لا يملك نفسه إلا إذا راضها وهذبها وأدبها بمنعها عن الشهوات . إلا ما لا بد منه . حتى تذبل النفس وتطفأ حرارة الشهوات وهناك تتربي إرادتها.

وهناك أقوال لأعلام المسلمين تؤكد هذا المعني أوردها القشيري في رسالته، منها: وأصل المجاهدة: وملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها علي خلاف هواها في عموم الأوقات وللنفس صفتان مانعتان لها من الخير: انهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات، فإذا جنحت عند ركوب الهوى وجب كبحها بلجام التقوي وإذا حرننت عن القيام بالموافقات يجب سوقها علي خلاف الهوى، وإذا ثارت

عند غضبها فمن الواجب مراعاة حالها، فما من منزلة أحسن عاقبة من غضب يكسر سلطانه بخلق حسن وتخدم نيرانه برفق والمكابدة علي وجهين، هما:
أ- مقاساة الآلام الناجمة عن فطم النفس فيتحملها الإنسان صابراً.
ب - مكابدة الهوي ومقاومة وساوس الشيطان^(٤٦).

وهذه المقولة التي ساقها القشيري في رسالته تبرز أن تهذيب النفس وترويضها يثبت من خلال عدة أمور، هي:

* فطم النفس أي منع النفس عن المألوف من الشهوات في بعض الأحيان حتى تعتاد الفطم عن الممنوعات.

* مخالفة الهوي وأمرها بالتقوي حين تنزع إلي المخالفات.

* مراعاة حالها والرفق معها والإتيان بخلق حسن حين تثور وتغضب وهذه الأمور الثلاثة تدخل ضمن مسألة مكابدة الهوي.

فإذا ذكر العبد ما لزمه من الطاعة وأراد أداءها تمثلت له راحتته التي سيفارقها عند أداء الطاعة وليس عنده ما يكفي لكي ترجح عنده كفة الطاعة علي كفة الراحة، وهواه يدعو إليها، فهو لذلك ممزق بين طرفين، طرف يدعو إلي الطاعة وطرف يدعو إلي الراحة فهو معذب القلب لا يهنأ براحة لأنه يريد أداء الطاعة ولا تتم طاعته لأنه يميل إلي الراحة فعيشه منغص وقلبه بهذا العناد لا يستريح فهو لا يزال يكابد الهوي ويقاسيه فإذا صار أمره إلي أن أصبح لديه من العلم بعظيم قدر الطاعة، وكبير الجزاء ما يثير رغبته ويحفز همته ويقوي رجاءه فإنه يجد القوة على زجر دواعي الهوى وعندئذ ينحسر عنه سلطان الهوي ولا ينال الشيطان نصيباً من عمله وعندئذ تنتهي مكابدته للهوي، يعينه علي ذلك أن تقوي علي ترك الهوي عزيمته، وأن يقوي في الطاعة رجاءه وأن يتمثل في نفسه ما يرجوه من وراء ذلك من ثواب آجل وعاجل، وأعون شيء علي مكابدة الهوي... الشعور الصحيح بالندم علي ما مضى والعزم علي عدم التعرض لأسباب المعاصي ورد الحقوق، والبعد عن خلطاء السوء وأن يضع فكرة الموت أمام عينيه لأن الموت يمكن أن يفجأ الإنسان في أي لحظة^(٤٧).

ومن هذه المقولة تبرز أبعاد آخري في إمكانية مكابدة الهوى منها العلم بجدوى مكابدة الهوي وما ينجم عنه من راحة (ثواب عاجل أو آجل)، وكذلك أيضا الندم علي ما مضى من المعاصي وعدم التعرض لأسبابها والبعد عن رفقاء السوء

واستحضار فكرة الموت التي يمكن أن تفاجئ الإنسان في أي لحظة، وهذه الأمور كلها تقوي إرادة الإنسان.

٢ - مجاهدة النفس:

مجاهدة النفس تربي الإرادة وفي الفكر الإسلامي تبدأ المجاهدة من نقطة الإيمان بالله ووحديته وأن محمد رسول الله، وتأتي المرحلة الثانية وهي القيام بفروض الوقت من صلاة إذا جاء وقتها وحج وصيام أو ضبط المعاملة... إلخ. وبعد ملاحظة فروض الوقت لابد من ملاحظة أدب الوقت (الصباح - المساء - السحر)، وملاحظة أدب الكون في سفر أو مأدبة أو سجن أو مدرسة أو دكان أو نزهة أو فرح أو عرس ثم ضبط النفس عن المحرمات والمكروهات التي تطالب بها،^(٤٨) وبالطبع فهذه الأمور كلها تربي الإرادة.

وجهاد النفس مع ما فيه من مكابدة وألم إلا أنه يفيد الإنسان فوائد جمة متعددة في تربية الإرادة وعلي حد تعبير المحاسبي "قالعبد علي العز والقوة والنفس قد قهرت فهي طائعة من غير انقلاب، وهي أي المجاهدة ضرورة للاحتجاب عن النار والقرب من جوار الرحمن وترك ما يهوى قلبه وتشتيه نفسه مما كره ربه عز وجل خاصة وأن الأعمال التي أمر الله بها وندب إليها أكثر حمل للقلب، مُتعب للجوارح أو مُشغل عن الذات وذلك كربه في الطبع ثقيل علي النفس"^(٤٩). والمجاهدة مسألة تشمل الجسم والنفس معاً إذ لا صفاء للنفس إلا بالقضاء علي شهوات البدن، وهناك علاقة بينهما يبرزها احمد محمود صبحي بقوله "إن شهوة المأكول والمنكوح يتشعب منها شره المال وشهوة الجاه، ومن ثم تزدهم الآفات النفسية والأخلاق الذميمة كالكبر والرياء والحسد والبغضاء ويقول: ليس الجسم والنفس منفصلين ولكنهما متفاعلان"^(٥٠).

وأركان المجاهدة تنقسم إلي أربعة أقسام، وهي في مجملها تسهم في تربية الإرادة:

- الركن الأول: العزلة والخلوة:

بمعني اعتزال الكفر والنفاق والفسوق وأهل ذلك، واعتزال المجالس التي فيها استهزاء بآيات الله مما ينبغي العزلة عنه.

والعزلة لها أساس أصولي في القرآن والسنة يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَرُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨] وفي السنة خلوة الرسول في غار حراء واعتكافه المتكرر.

والعزلة دواء للقلب وتساعد علي التحرر من الشهوات لأنه مادام الإنسان علي خطة فالغفلة تغلبه وتكثر هفواته والعزلة تساعد علي التخلص من هفوات القلب والتأهل لفهم دقائق الأسرار وفي الفكر الإسلامي لابد للإنسان من العزلة عن أبناء جنسه أحياناً.

وعلي الإنسان إذن أثر العزلة أن يعتقد باعتزله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق فإن الأول من القسمين: نتيجة استصغار نفسه والثاني شهود فريته عن الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع ومن رأي لنفسه فرية علي أحد فهو متكبر، وقيل لبعض الذين يتخذون العزلة أنك راهب فقال: لا، بل أنا حارس كلب (يقصد نفسه).

والعزلة في الحقيقة: اعتزال الخصال المذمومة فالتأثير لتبديل الصفات لا للتناهي في الأوطان^(٥١)، فالعزلة هنا وسيلة وليست غاية في ذاتها. ويتضح لنا أهمية العزلة كركن من أركان المجاهدة في تربية الإرادة، من منطلق أنها تساعد علي التحرر من الشهوات والتخلص من هفوات القلب والتواضع واستصغار النفس وليس الافتراء علي الخلق.

- الركن الثاني: الصمت والسكون:

إن تهذيب اللسان وضبطه من المسائل المهمة والصعبة في مجاهدة النفس البشرية وهي تعني ألا يستعمل الإنسان لسانه إلا في الخير، وأن يضبطه عن كل شر وعن اللغو، والصمت له أصل في القرآن والسنة يقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " أو لا أدلك علي ملاك الخير كله؟ كف عليك هذا وأشار إلي لسانه " رواه أبو داود.

واللسان أداة التعبير الأولي عن النفس، وما أكثر الأشياء التي تميل إليها النفس ولا يصح أن تظهر علي اللسان وعلي سبيل المثال الفجر والسباب.. إلخ.

وعلى الإنسان أن يعود نفسه على الانضباط في ذلك، ومقدمة ذلك كله التحكم في اللسان ومقدمة التحكم في اللسان تعويد الإنسان نفسه على الصمت مقدمة لاعتیاد الإنسان على أن يحاكم كلمته قبل أن يقولها والصمت مقدمة للضبط.

ويسوق القشيري مجموعة من آراء المسلمين في الصمت والسكون، فالسكون على قسمين سكون بالظاهر وسكون بالقلب والضمائر، والحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والفكر، "وأصون الناس لقلبه أصونهم لسانه"، ومثل اللسان مثل السبع أن لم توثقه عدا عليك.

صمت العوام بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين بالتحفظ من خواطر أسرارهم والصمت أحد الأركان في المنازلة وتهذيب الخلق^(٥٢). فالصمت هنا وسيلة وليس غاية و يمكن تربية الإرادة من خلال تعود الصمت وضبط الكلام والتحكم في اللسان.

- الركن الثالث: الجوع:

والجوع ركن من أركان المجاهدة له أصل في السنة: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " رواه البخاري.

ويقول: اخنقوا أنفسكم بالجوع وأظمئوها "أخرجه الطبراني بإسناد حسن، ويورد القشيري مجموعة من أقوال المسلمين في ذلك: كان الجوع من صفات القوم، وهو احد أركان المجاهدة، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع. ولما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة وعنده أن الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمه ومفتاح الآخرة الجوع. والجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحتراق ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه^(٥٣).

والجوع هنا يربي الإرادة من منطلق أنه يحد من الشهوة التي هي مثل الحطب الذي منه الاحتراق كما أن الجوع ضد الشبع، والشبع أساس المعصية والجهل، وهو يتضمن الامتناع عن الشهوات وهذا الامتناع يقوي العزيمة.

- الركن الرابع: السهر:

يقول سعيد حوى: إن عدم تحكم الإنسان في نومه قد يترتب عليه تفریط خطير في كثير من الأمور مثل صلاة الفجر، جماعة وهناك أشياء كثيرة يمكن أن يصيبها خلل نتيجة لعدم تنظيم الإنسان نومه وتعويد نفسه علي التحكم في شأن النوم وخاصة في عصرنا الذي غلبت عليه طرائق الحياة الغربية^(٥٤).

وللسهر أصل في الكتاب والسنة ويقول تعالي ﴿فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[المزمل: ٢]

والسهر ليس هدفاً في ذاته بل هو ركن من أركان المجاهدة وهو يربى الإرادة من خلال تحكم الإنسان في نومه وضبطه له، وفي كل الأحوال فالمجاهدة في مضمونها ومعناها ومغزاها تربية للإرادة.

ولعل هذا يتضح بصورة أكبر من خلال تعريف عامر النجار لها بقوله: المجاهدة ألا تملك نفسك فتملكك، وتضيق عليها. ولا توسع لها فتتسع عليك وألا تعرضها لهواها إذا أردت الظفر بها، وأن تضعفها بقطع أسباب هواها إذا أردت أن تقوي عليها، وأن تحبس مراد شهواتها حتى لا تقوي عليك فتصرعك^(٥٥).

٣- مخالفة النفس:

يمكن تربية الإرادة من خلال مخالفة النفس، بمعنى فطم النفس عن المألوفات وحملها علي خلاف هواها. ويورد القيشري في رسالته مجموعة من أقوال المسلمين في المخالفة نستشف منها كيف يمكن تربية الإرادة من خلال مخالفة النفس، ومن هذه الأقوال مخالفة النفس رأس العبادة وذبح النفس بسيوف المخالفة، مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الإصابة بمخالفة النفس والهوي.

النفس مجبولة علي سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردّها عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريك معها في فسادها.

والنفس الأمانة بالسوء: هي الداعية إلي المهالك المعينة للأعداء المتبعة للهوي، من لم يتهم نفسه علي دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلي مكروهاها في سائر أيامه كان مغروراً، ومن نظر إليها في استحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه.

والكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب يقول: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣]

إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواؤها، والنعمة الكبرى : الخروج من النفس لأنها أعظم حجاب بينك وبين الله عز وجل، وما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوي^(٥٦).

فهذه الأقوال التي أوردتها القشيري في رسالته تؤكد عدة أمور منها أن النفس بطبعها مجبولة علي سوء الأدب والدعوى إلي المهالك، وعلي الإنسان مخالفة نفسه حتى يتحقق له النجاة، ومسألة المخالفة تربي الإرادة من خلال تقوية قدرة الإنسان علي حمل نفسه علي خلاف هواها وإضعافها فيما تأمر به صاحبها من سوء أدب.

ويبرز عامر النجار فلسفة مخالفة النفس بقوله: وفلسفة مخالفة النفس تأتي من منطلق أن إساءة الظن بها طريق لكشف خباياها وإظهار نزعاتها، ودواء النفس من عللها الإعراض عنها وتأديبها بمخالفتها، وصيانتها بملامتها وتقريعها، وهو يبرز أهمية مخالفة النفس في تربية الإرادة في الفكر الإسلامي بقوله: وهم قد ذهبوا في معارضة النفس كل مذهب ممكن، وأظهروا لها كل نوع من أنواع العناد والمعارضات ومصادمتها في كل رغبة من رغباتها، وإذا سكنت النفس واستحسننت فعلاً من أفعالها عمدوا إلي إذلالها وتحقيرها ومنعها مما تسكن إليه^(٥٧).

٤ - محاسبة النفس:

يمكن تربية الإرادة من خلال محاسبة النفس، والمحاسبة تتم بعد الوتر، وقبل النوم ولما مضي من اليوم من طول غفلة وسوء معاملة، ولما فعله الإنسان من أعمال كيف فعلها، ولمن فعلها، وما تركه من سكونه وصمته لما تركه.

يقول المحاسبي انظروا هل يكون منكم مصر علي بعض المعاصي وهل تجدون في القلوب حب الدنيا والسرور بإقبالها والتغلب بشهواتها، وهل تجدون حلاوة المدحة والتعظيم أحياناً وهل ترضون بما وافق الهوي وهل تلهون بالنظر إلي الخلق من غير اعتبار، وهل تلهون بفضول الكلام وهل تصمتون أحياناً مفكرين في الميعاد وهل تعملون من الأعمال شيئاً الله راض به، وهل تجدون خوف الفقر أحياناً وهل تكرهون شيئاً قضاه الله فيكم، فهذا ونحوه من ذنوب القلوب ويقول المحاسبي مؤكداً علي عملية محاسبة النفس انظر لنفسك نظر العاقل اللبيب ولا تكن عنها غافلاً وحاسبها في كل يوم تسلك بها طريق النجاة.

ويبين المحاسبي معني محاسبة النفس بقوله: والمحاسبة تتم بقيام العقل علي حراسة جناية النفس فيتفقد زيادتها من نقصها، وتتولد المحاسبة من مخاوف النقص

والرغبة في زيادة الأرباح، والمحاسبة للنفس يمكن أن تكون في مستقبل الأعمال وأيضاً في مستدبر الأعمال والمحاسبة في مستقبل الأعمال هي النظر والثبت قبل الزلل ليبصر ما يضره مما ينفعه فيترك ما يضره علي علم ويعمل بما ينفعه علي علم، والمحاسبة في مستدبر الأعمال بالنظر فيما فعله.

والمحاسبة ينبغي أن تشمل أعمال أهل الدنيا في صناعاتهم إذا أراد أحدهم أن يبتدئ العمل، فإذا رأي فيه تفریطاً أتم ما بقي منه وأصلح ما فسد فيه فعمال الله يجب أن يثبتوا قبل إعمالهم^(٥٨).

ومما سبق يتضح أن المحاسبة تعنى حراسة جناية النفس والتثبت قبل أداء العمل والتقييم والمراجعة بعد أدائه وهي مسألة تشمل كل أعمال أهل الدنيا قبل وأثناء وبعد أداء هذه الأعمال وهي في مجملها تربي الإرادة من خلال محاسبتها في كل ساعة والوقوف عند كل همة من خواطرها.

٥ - إتقاء مكر النفس:

يمكن تربية الإرادة من خلال إتقاء مكر النفس والنفس حين يحال بينها وبين تحقيق رغباتها ومشتياتها تسلك إلي تحقيقها كل وسيلة ممكنة ولو عن طريق التلبيس علي صاحبها، فإذا منعت من شهوات المعاصي لجأت إلي شهوات المباحات، وإذا منعت من شهوات المباحات لجأت إلي شهوات الطاعات وهي تلجأ من أجل التوصل إلي حيل مأكرة تستدرج بها صاحبها لكي يتهاون في حراستها. وعلي سبيل المثال تزين النفس لصاحبها مسألة من المسائل علي أنها نعمة من الله استحقها لجهد بذله أو طاعة قام أو مكانة خاصة عند الله أو جاه اكتسبه لديه أو غير ذلك من الأمور، فإذا اقتنع بكلامها وركن إلي ما أدخلت عليه سقط في حائلها ونالت منه بغيته وشهوتها فانقطع طريقه إلي الله ووكله الله إلي نفسه فهلك. والإنسان يتخلص من مكر النفس: بالصبر والثبات ومراقبة أحوال النفس من مكرها^(٥٩).

ويبين عبد الفتاح بركة معني إتقاء مكر النفس أثناء تعليقه علي نص رسالة مكر النفس للحكيم الترمذي بقوله: فقد تطمئن بالإنسان حياته صحة وعافية واستقراراً وقد ينال في دنياه دولة وسلطاناً وثروة فتغريه النفس بالركون إلي ذلك والاسترواح به والتوقف عن بذل المزيد من الجهد، فعليه أن يعرف أنه لا يمكن

الاطمئنان إلي شي دون الله ولا التعويل علي شيء غير الله فالعافية تتحول والدولة تدول بين الخلق كأن لم تكن.

وإذا زينت له أمره معتمدة علي أن الأمور تجري علي محابة بعد أن ارتقي مرحلة في الطريق وأصبحت ميسرة، فعليه أن يراجع نفسه ويحاسبها هل تجري الأمور علي محابة لأنه أَرْضِي اللهُ خالقه أم أن هذا ابتلاء لينظر أيشكر أم يكفر. فإذا ارتقي درجة آخري وأصبح بحيث لا يقترب من المعاصي وبحيث يقوم بالطاعة في يسر وسهولة لا يحس لها تكلفاً ولا مشقة فقد تزين له أنه وصل إلي الغاية فعليه أن يذكرها بأثقال الشكر لأن الشكر على العصمة وعلى يسر الطاعة أثقل من الشكر على النعم الدنيوية^(٦٠).

ومن هذه المقولة: يتضح أن اتقاء مكر النفس بالمعني الذي أشار إليه الحكيم الترمذي وتعليق عبد الفتاح بركة عليه يربي الإرادة من خلال الصبر والثبات علي الطريق ومراقبة أحوال النفس في مكرها وتذكيرها بأثقال الشكر؛ علي العصمة وعلي يسر الطاعة وعلي النعم الدنيوية.

٦ - علاج آفات النفس:

هناك مجموعة من الآفات النفسية التي تحتاج إلي علاج نفس وعلاج هذه الآفات يربي إرادة الإنسان وتتناول الدراسة كل آفة من الآفات وكيفيه علاجها وانعكاس ذلك على تربية الإرادة كما يأتي:

- الكبر:

وهو من أعظم الآفات النفسية، وعنه تتشعب أكثر البليات ويستوجب به من الله سرعة العقوبة والغضب ويتشعب الكبر من العجب والحقد والحسد والرياء وأصل ذلك من جهل معرفة القدر، ومن أهم صور الكبر التعاضم علي عباد الله وتحقيرهم والأنفة منهم، وذلك أنه يري أنه خير منهم والكبر يورث الكثير من الأعمال المذمومة والعلاج للكبر هو بالضد (أي التواضع).

والتواضع الحق إنسان يعرف ربه كما يعرف حقيقة نفسه، ويكفي أن يتدبر الإنسان معني آية واحدة من آيات الله المتعلقة بخلق الإنسان ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس : ١٧، ١٨، ١٩].

والذي يبعث علي الكبر أن الإنسان ينسي نعمة من هو فوقه فأما إذا ذكر أنه أغناه في جلب المنافع إليه وصرف المضار عنه حل بالاستكانة والحاجة إلي الله (١١).

ويتضح هنا أن علاج الكبر يكون بالتواضع وبذكر نعمة الله وأنه لا فضل للإنسان فيما هو فيه من نعم وأن عليه أن يستكين للخلق ويحل به ذل الحاجة إلي الله عز وجل وهذه المسألة تربي إرادة الإنسان.

- الغرور:

الغرور كآفة نفسية هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن خدعة من الشيطان.

والغرور يدخل الإنسان من خلال إعجاب نفسه بما يرى من القوة والمال والعلم، وبالتالي احتقار بقية الخلق والتجبر ونسيان فضل الله، وهناك غرور بالدنيا عن الآخرة، وهناك الغرور بالله بمعنى أن يحسب الإنسان أن الفضل الذي أتاه الله لم يكن إلا لمنزلته عنده وأنه أحق بالخير من غيره، وهناك غرور بالعبادة والانشغال عن إتقانها والإكثار منها، وهناك الاغترار بالعلم حيث يطلب المغتر العلم للرياسة والمنافسة والتجبر، وهناك الاغترار بالمال بمعنى العمل للحرص على الكسب وحب الجمع والإمساك، والقول إنني أكسب لأستعف واسعي علي أبنائي وأعطف علي الفقراء من فضل مالي.

وعلاج الغرور بأن يختبر الإنسان نفسه عند العمل بعلمه، فإنه يتبين له أنه فقير، وكذلك يصف الإخلاص فإذا عرض العمل هاج الرياء وافتقر الإخلاص وكذلك يصف كلام في الأخلاق الحميدة وقيسه على فعله، فالغرور يزول بتفقد النفس عند الأعمال، وقيس ما تقوم به جوارحه من أعمال مع حقوق الله وأن هذا كله تعتوره الآفات التي تفسده أو تحبطه، وكذلك يقيس الأعمال الصالحة مع الذنوب والآفات والمعاصي التي يرتكبها، وقيس العزم عند العمل بالعلم (١٢).

ويمكن القول إن علاج الغرور كآفة من آفات النفس يمكن أن يربي الإرادة من خلال منع النفس من السكون إلى ما يوافق هواها ومحاسبتها فيما أوتيت من مال وعلم وقوة وفضل... إلخ.

- العجب:

العجب عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها، وهو آفة وشعور مذموم يعمي قلب الإنسان حتى يرى المعجب أنه محسن وهو مسيء وأنه ناج وهو هالك وأنه مصيب وهو مخطئ، والإنسان إذا أعجب بأفعاله وأعماله لا يفتن إلى ضلاله وانحرافه، ولا يرى ما يجب أن يتوب عنه لأنه مستصغر لما أتاه من الذنوب محتقر لما ارتكبه من آثام بالنسبة إلى ما فعله من طاعات ومجاهدات وأعمال الخير والبر.

وعلاج العجب يتمثل في ضرورة معرفة نعم الله حتى لا يختال الإنسان ويعجب بأصله ويفرح بنفسه، يقول المحاسبي في ذلك: لو علمتم قدر أيادي الله تعالى ونعمه عليكم لاستقلتم أعمال الخلائق لنعمة واحدة ولأشفقتم من بقية النعم أن يطالبكم بشكرها، ويقول: متى ابتليتم بالمدحة والتزكية فلا تعجبوا بذلك فإنه ضرار الدين وإذا سبق السرور بالمدحة إلى القلب فلا تصروا على ذلك، وردوا السرور بالعلم بضرر التزكية في الدين، وردوا بالكراهية المدحة، واستعينوا بالله من التزكية.

والعجب ينقسم إلى ثمانية أنواع لكل نوع علاج، وتتمثل فيما يلي:

- الأول: أن يعجب الإنسان ببدنه وهيئته وصحته وعلاجه أن يتفكر في بطنه وما يحتويه من أقدار وأنه سيكون رميماً ويتبدل حاله وتتمزق أوصاله.
- الثاني: العجب بالفعل والكياسة وعلاجه أن يشكر الله على ما رزق من العقل ويتفكر ماذا لو أصيب بأدنى مرض في دماغه.
- الثالث: العجب بالنسب الشريف وعلاجه أن يعلم إن أكرمكم عند الله أتقاكم.
- الرابع: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعاونهم دون نسب الدين والعلم، وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وأنهم ممقوتون عند الله.
- الخامس: العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب، وعلاجه أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأنهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.
- السادس: العجب بالمال، وعلاجه أن يتذكر قصة صاحب الجنتين حين قال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]
- السابع: العجب بالرأي الخطأ، وعلاجه صعب وهو أن يتهم رأيه.
- الثامن: العجب بما هو غير داخل تحت اختيار العبد، وعلاجه أن ينسب الفضل لمن من به عليه، بما وقع بين يديه، دون اختيار منه^(٦٣).

وعلاج العجب كافة من آفات النفس يربي إرادة الإنسان من خلال علاج تصور الإنسان استحقاقه رتبة لا يكون مستحقاً لها سواء كانت نعمة المال أو الجاه أو العلم أو النسب أو الحساب... إلخ.

- الرياء:

داء خطير تحمله نفوس ضعيفة تبغي التسلق والصعود بالخداع والزيغ، والمرائي شخص يظهر خلاف ما يبطن والرياء نوع من الشرك الخفي. والمرائي شخص يحمل أقنعة مزيفة كاذبة لبيت باطنه الخبيث، وحقيقة مشاعره وعواطفه نحو الآخرين أن يظهر لهم الحب والود وهو في الحقيقة يكرههم ويتملقهم، مدحهم زوراً وهو منافق يحني رأسه للناس بدلاً من أن يحنيها للخالق الأعظم، والذي يبعث على الرياء حب المحمدة وخوف المذمة والضعة والطمع للدنيا ولما في أيدي الناس، ويورث الرياء خلافاً منها: المباهاة بالعلم والعمل والتفاخر بالدين والدنيا.

والرياء عند المحاسبي ينتفي بالمعرفة، ولمعرفة تكتسب بالتفكر، وعلاج الرياء يكون بكراهية اجتماع خصال الرياء في القلب مثل حب الحمد مثلاً وهذه مسألة عهدية على النفس وذلك من خلال التفكر في كيف يكون مصير الإنسان عند الله والتفكر في حصيلة الرياء في الدنيا^(٦٤).

ومما سبق يتضح أن علاج الرياء يربي الإرادة من خلال المعرفة والتفكر في مصير الإنسان عند الله، وكراهية اجتماع خصال الرياء في القلب كحب الحمد.

- الوسواس:

الوسواس كافة من آفات النفس أنواع:

○ الأول: يكون من جهة التلبس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس بالحق إذ يقول للإنسان كيف تترك التمتع باللذات وتصبر على التلذذ بالشهوات وأمامك العمر الطويل الذي يمكنك أن تعمل فيه لآخرتك وكذلك يوسوس إليه العجب بعمله.

○ الثاني: يحرك الشهوة ويهيجها.

○ الثالث: الخواطر وتذكر الأحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة ويأتي الشيطان للإنسان يوسوس له من عشرة أبواب:

١- الحرص وسوء الظن. ٢- الحياة الدنيا وزينتها وطول الأمل.

- ٣- طلب الراحة والاستجمام.
٤- العجب والغرور.
٥- الاستهواء والاستخفاف.
٦- الحسد والحقد.
٧- الرياء.
٨- البخل.
٩- الكبر.
١٠- الطمع (٦٥).

وعلاج الوسواس يتمثل في محاربة الإنسان له وحب الإنسان لله وذكره، ويقول المحاسبي في ذلك: وكن مما تتعم بارغام عدوه وأحبب مولاك فإنك إذا حلت بحبه وجدت من اللذة في مخالفة الشيطان أعظم مما تجد من اللذو في موافقته، ويقول المحاسبي إن وسوسة النفس بالشيء يجده العبد بالحس كالبرق فإن صرفها بالذكر زالت ومحيت، وأن تركها بالغفلة عنها كانت خطرة خطورة العدو (٦٦).

وتجدر الإشارة أن علاج الوسواس من خلال محاربتة ومخالفته من خلال حب الله وإحلاله في القلب يربي إرادة الإنسان بحيث يصل إلي كونه يجد لذة في مخالفة الشيطان أعظم من اللذة التي يجدها في موافقته.

- الغضب:

يمكن تربية الإرادة من خلال علاج الغضب كافة من آفات النفس، والغضب من القوي التي أودعها الله في القلب والغضب أشد في البدن من المرض وإذا غضب الرجل دخل عليه الألم أكثر مما يدخل عليه من المرض، ويترتب علي الغضب الحقد والحسد والمرض ويؤثر الغضب في الجسم والعقل.

ويمكن علاج الغضب من خلال الرياضة النفسية وهي تضعفه وتعمل علي اعتداله خاصة أن الغضب تعقبه حالة مزاجية صعبة تجعل من الصعب علي الغضبان التفكير السليم أو التصرف الحسن نتيجة نزعتة إلي الانتقام وكبره وبغضه لمن غضب عليه.

ومن علاج الغضب أيضا التضرع إلي الله والاستعانة به للتغلب علي المغضوب منه وهذه تجعل أثر الغضب يزول ويعود الغضبان شيئاً فشيئاً إلي طبيعته.

ومن علاج الغضب كظم الغيظ وضبط النفس عند ظهور أسباب الغضب، لأن الغضبان لا يكون قادراً علي ضبط نفسه وتحكيم إرادته (٦٧).

ومما سبق يتضح أن علاج الغضب يربي إرادة الإنسان من خلال رياضة النفس والاستعانة بالله علي زوال الغضب وعلي المغضوب منه وكظم الغيظ وضبط النفس وهذه كلها من الأمور التي تربي الإرادة وتقويها.

- الحسد:

يمكن تربية إرادة الإنسان من خلال علاج الحسد كافة من آفات النفس، والحسد في الفكر الإسلامي أن تغتم بالنعم إذا كانت لغيرك تود أنها كانت مصروفة عنه وهو كراهة النعم وحب زوالها عن الآخرين.

وعلاج الحسد في الفكر الإسلامي: أن تعلم أنك قد غششت من تجده من المسلمين، وشاركت جنود إبليس والكفار في محبتهم زوال النعم للمؤمنين وكراهة ما أنعم الله عليهم به، وأنت قد سخطت قضاء الله عز وجل الذي قسم لعباده فإذا علمت ما قد دخل عليك من هذا الضرر العظيم بغير منفعة في دين ولا دنيا صرفك عن الحسد إن كنت مؤمناً بالله حقاً^(٦٨).

ومما سبق يتضح أن علاج الحسد يربي الإرادة من خلال علم الإنسان بضرر الحسد والمتمثل في كونه قد غش المسلمين وشارك الكافرين في كراهية النعم لهم وشارك إبليس في تمني زوال النعم عن المؤمنين أيضاً، والأنتكى من ذلك هو عدم الانتفاع بذلك وعدم جدوي ذلك الحسد لهم في الدين والدنيا، وبالتالي ينصرف الإنسان عن الحسد وتترى إرادته وتقوي.

٧- تصريف الطاقة واستثمارها:

يمكن تربية الإرادة من خلال تصريف الطاقة واستثمارها، والإسلام يحث على تصريف الطاقة: يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [سورة الملك: ١٥]، ويقصد بالطاقة هنا تلك الطاقة الحيوية المنبثقة من الجسم والمتمثلة في مشاعر النفس، هذه الطاقة يعترف بها الإسلام اعترافاً كاملاً صريحاً قوياً ويرببها بالتنظيف والتهديب وليس بالقمع والكبت والاحتقار.

والإسلام لا يكبت رغائب النفس فيقتل حيويتها ويبدد طاقتها ويشتت كيائها فلا تعمل ولا تنتج ولا تصلح لعمارة الأرض وترقية الحياة، وفي الوقت ذاته لا يطلق رغائبها بلا ضوابط لأن ذلك يبدد طاقتها، من جانب آخر فإنه يعمل علي تربية القوي الضائعة وتتميتها منذ نعومة الأظفار.

والإسلام يربي النشء منذ طفولتهم علي بعض العادات التي تضبط سلوكهم فلا ينفلت عيارهم ويعودهم علي الامتناع عن بعض رغباتهم التي تزيد عن الحد وهو لا يصل إلي ذلك باستخدام القسوة فليس هدفه الانتقام إنما الحب والتوجيه والنصيحة اللينة الرقيقة الحازمة في ذات الوقت.

ومن أمثلة الضوابط التي يضعها الإسلام الصلاة والصيام وربط القلب بالله واليوم الآخر ومنع اللهفة المجنونة علي شهوات الأرض وبعث النشاط الحيوي في اتجاهات شتى تشمل كل كيان الإنسان: العلم والعمل والتجارة والصناعة والزراعة والفتح والغزو وعمارة الأرض وإقامة الدول وتنظيمها وسياستها ومراقبة الأمور في المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٦٩).

٨- إصلاح القلب:

يمكن تربية الإرادة من خلال إصلاح القلب، وهو يلمس مكن الداء ومنبع الدواء، والقلب بوصفه مصدر الإرادة إذا كان صالحاً ولم يمرض ولم ينحرف عن الجادة، يهيئ الجسد للحياة الصالحة، أما القلب المريض المنحرف عن الجادة فلا يمكن أن يسلم معه الجسد أو يصلح، ومرجع صلاح الإنسان وفساده، إلي قلبه، أي أن إرادته ونيته التي يعبر عنها عادة بموطنها منه وهو القلب أو الضمير، وهكذا يربي الإسلام الإرادة في المسلم وبعد أن يقرر الإسلام انه لا اعتبار لأعمال المسلم إلا بالنية يقرر الإسلام أنه لا صلاح للمسلم إلا بصلاح موطن النية منه وهو قلبه^(٧٠)، ومن الأمور التي يصلح بها القلب.

- **الحزن:** وأورد القشيري في رسالته مجموعة من الآراء عن الحزن:

هو حال يقبض القلب عن التفرق في أودية الغفلة وهو من أوصاف أهل السلوك وصاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين.

وفي الخبر إن الله يحب كل قلب حزين، وروي أن الرسول كان متواصل الأحزان دائم الفكر، والقلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيها ساكن تخرب، والحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب، والحزن يمنع الطعام والخوف يمنع من الذنوب، والمشهور أن حزن الآخرة محمود وحزن الدنيا غير محمود، رغم أن البعض من المسلمين يراها بكل وجه فضيلة لأنهما يوجبان تمحيص عمل المسلم.

وفي الفكر الإسلامي علي كل شيء زكاة وزكاة القلب (طول الحزن)^(٧١).
ومن هذه الأقوال يتضح أن الحزن حالة تؤدي إلي صفاء النفس من خلال إخراج الإنسان من غفلته وأن حزن الآخرة شيء محمود وأن الحزين لا يتررب وفي الطرب ضعف للإرادة وإضعاف لها لأن الإنسان غالباً لا يتمالك سلوكه ولا يتحكم فيه وهو في حالة طرب كما أن الحزن يمنع من الطعام والحد من الطعام يحد من الرغبة في إتيان الذنوب وفي كلا الحالتين تتررب إرادة الإنسان.

٩- الصبر:

يعد الصبر من المسائل التي تحتاج إلي وقفة متأنية في تربية الإرادة، ويقول محمد شحات الخطيب فليس كل ما يريده الإنسان يمكن الحصول عليه في الوقت الذي يريده وحاجات الإنسان لا يمكن أن تبرر له الوسائل غير المشروعة في استعجال تحصيلها.

ولو تركت المسألة بهذه الصورة فإن عدم وجود عنصر الصبر عند البشر مدعاة لفنائهم، والصبر يقتضي التسليم الكلي لله ﷻ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ۖ فَصَبِرْ جَمِيلاً ﴿ [يوسف: ٨٣].

والصبر يقي الإنسان من العديد من المزالق التي يصعب علاجها فإن وقعت فالصبر عليها والتأني في علاجها أفضل وسيلة لمواجهتها، والصبر سمة من سمات القوة، ولمن صبر وغفر فإن ذلك لمن عزم الأمور "سورة الشوري" آية (٤٣) (٧٢).

والصبر يتضمن أفعالاً تربي الإرادة هي:

- الصبر علي ما أمر الله به والصبر علي ما نهى عنه.
- الصبر علي حكم الله فيما يناله العبد من مشقة وتجرع المرارة من غير تعبير، والسكون عند تجرع غصص البلية، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب والفناء في البلوي بلا ظهور شكوي، والمقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية.
- الثبات مع الله سبحانه وتعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعة، والثبات علي أحكام الكتاب والسنة وترك الشكوي، وألا يفرق بين حال النعمة والمحنة والسكون مع البلاء.
- حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونبف الشعر ونحوه وحبس اللسان عن الشكوي.

- حبس النفس علي ما تكره أو عما تحب وحبسها عن الجزع^(٧٣).
- ثبات باعث الدين في مقاتلة باعث الشهوة، وهذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوة وقهرها، و باعث النفس بمقتضياتها يسمى باعث الهوى، والحرب بين باعث الدين و باعث الهوى سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد، ومدد باعث الدين الملائكة ومدد باعث الشهوة الشياطين.
وهذا الكلام يكشف جانب هام من مكانة الصبر في تربية الإرادة خاصة أن ثبات باعث الدين في مقاتلة باعث الهوى ليس بالأمر الهين أو اليسير فهو أمر عسير علي كثير من الناس، وهذا الثبات مفروض علي المؤمن في معارك كثيرة يخوضها كل يوم لأن خصمه في هذه المعارك هو نفسه وغرائزه وأسباب هذه المعارك مستمرة دائماً مادام علي الأرض شيء اسمه الحياة وفي النفس شيء اسمه الرغبة، وللدين قانون اسمه الحق^(٧٤).

١٠ - الصوم:

الصوم يربي الإرادة: يقول مصطفى زيد: الصوم حرمان يحس الإنسان أن إشباعه ضرورة لا مفر منها، وهو إخضاع للغرائز وقهرها بالتسامي فوق حاجتها، والحد من طغيانها، والعمل علي أن تذلل، والصوم يربي إرادة الإنسان لأن من خلاله يدعم الإنسان وجوده ويثبت كيانه فيتترك الضروي (إذا هو أراد) ومن هنا يبدأ الصوم عمله في تربية الإرادة.

والصيام إعداد للإرادة وتسليح لها حتى تكون قادرة علي الانتصار في معاركها المستمرة مع البدن، والجسم بحاجاته المتجددة يحاول دائماً أن يقهر الإرادة وأن يخضعها لقانونه، والإرادة الإنسانية بنزعتها إلي السمو حريصة دائماً علي أن ترفع معها الجسم إلي عالمها، ويجد الصيام مكانه في نصر الإرادة علي البدن.
وفي كل الأحوال فالصيام بما يصحبه من الامتناع عن الرفث والصخب وقول الزور وإشباع الغرائز يربي الإرادة القوية في المسلم ويتعهدا بكل ما يشد من أزرها ويقيم كيانها^(٧٥).

١١ - الزهد:

الزهد من المسائل التي تربي الإرادة لدي الإنسان، وباستعراض آراء مجموعة من المسلمين في الزهد يمكن التذليل علي ذلك ومن هذه الأقوال التي أوردها القشيري في رسالته:

- الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.
- هو النظر إلي الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها.
- هو خلو القلب عما خلت منه اليد.
- هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.
- سلوة القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك.
- هو الثقة بالله تعالى.
- ترك ما يشغل عن الله تعالى.
- استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.
- أن تزهد فيما سوي الله.
- هو عمل بلا علاقة (علة دنيوية) وقول بلا طمع وعز بلا رياسة.

والزهد علي ثلاثة أوجه:

- أ- الأول: ترك الحلال وهو زهد العوام.
 - ب- الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.
 - ج- الثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين^(٧٦).
- ومن هذه الأقوال في معني الزهد نجد أنه يتضمن مجموعة من الأفعال أو الصفات التي تربي إرادة الإنسان وعلي سبيل المثال فالإنسان حين يأتي بأفعال علي عكس هوي نفسه كالإعراض عن الدنيا واستصغارها... إلخ فهذا لب تربية الإرادة.

وفي تعليق عبد الفتاح بركة علي نص الزهد للحارث للمحاسبي يتضح كيف أن الزهد والقيام به مسألة تربي الإرادة يقول: الزهد عدم حبس الحلال دون إنفاقه في وجوهه المشروعة. والزاهد بهذا المعني هو الذي لا يحبس عنده مما اكتسبه من الحلال إلا ما يلزم لقوته هو ومن يعول، وأنه يستطيع أن يدّخر منه ويكون مع ذلك زاهداً - إذا كان يدخر ما يدخر لأغراض مشروعة كمواجهة ما يجد من نوائب الدهر كالمرض، وما يحتاج من نفقات العيال مثلاً أو مواجهة عوارض يمكن أن تنزل بأهله أو بجيرانه من المسلمين أو بوطنه أو بغير ذلك من المصالح لعامة المسلمين.

وليست العبرة في الزهد بالكثرة والقلّة، ولكن العبرة بموقف القلب وموقف النفس منها، والإنسان لكي يكون زاهداً عليه أن يستعين بقصر الأمل والجد في العمل، وقصر الأمل يتحقق إذا اعتبر الإنسان أن غداً ليس من أيام عمره لأنه ليس من المؤكد أن يأتي^(٧٧).

وهذه المقولة تبين أن الزهد يتمثل في عدم الانجراف وراء هوي النفس في جمع المال بأي وجه من الوجوه وعدم إنفاقه والحرص في ذلك، والزهد لا يعني عدم التملك ولكنه يعني التصرف بحكمة فيما يملك الإنسان وفيما ينفق، وهذه مسألة صعبة علي النفس بالطبع، ويمكن تحقيقها بقصر الأمل من خلال أن غداً ليس مضموناً في عمر الإنسان.

الجانب الثالث: حال الإنسان مع الآخر:

هناك أفعال وأحوال للإنسان مع الخلق يمكن من خلالها تربية الإرادة وتتمثل

فيما يلي:

١ - التحلي بالفضائل مع الخلق:

التحلي بالآداب والفضائل مع الخلق يمكن أن تربي الإرادة لدي الإنسان. ومن هذه الآداب: صحبة أهل المعرفة والعلم وملازمة الفقراء والدعاء للخلق وحسن الظن بهم وتحمل أذاهم والصبر عليهم والذكر معهم وتلاوة القرآن لهم وإرشاد الضال منهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم وإصلاح المتخاصمين منهم وتحريضهم علي الصدق، وأن يرفع التكليف معهم ويعتمد علي نفسه ولا يعتمد عليهم ولا يكون عبئاً عليهم ويتورع في النظر إليهم وفي حركاته وسكناته معهم ويحترمهم ويقوم بخدمتهم وما فيه راحتهم وبذل الجهد في ألا يستوحشه قلب أحدهم، والاجتهاد في إرضاء خصومه، وترك الزلات نحو صغيرهم وكبيرهم وترك المباحة والمجادلة معهم وإكرام الجار زيادة عن غيره لحق الجوار، وإذا رأي منهم هفوة سترها وإذا رأي زلة تجاوز عنها، وأن يكرم الواردين عليه بقدر استطاعته وأن يعود الإخوان إذا مرضوا ويسأل عنهم إذا غابوا وألا يشهد لنفسه حقاً عليهم وأن يتجنب صحبة الأحداث ومجالسة النساء، وأن يشفق علي سائر الخلق من غير الآدميين كالحيوانات والطيور والعزلة عن المجالس التي فيها لغو أو مداهنة أو جدال أو عجب أو رياء^(٧٨). ويحرص الإسلام كل الحرص علي أن يكون المسلم إنساناً كاملاً في المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يؤذي أحداً بلسانه ولا بيده ويطلب منه أن يكون محباً لغيره مثلما يحب لنفسه فلا يدور حول نفسه ومطامعها ولا يعيش في ملكها هي ولحسابها وحدها ولا يكون أثراً أنانياً.

ويؤكد مصطفى زيد علي أن كل هذه الآداب والفضائل تربي الإرادة بقوله: ولما كان كل ما يصدر عن الإنسان من قول وعمل إنما ينبعث من داخله تلبية لرغبة أو استجابة لنزعة أو إشباعاً لعاطفة أو غريزة فإن من الطبيعي أن يبدأ الإسلام بعلاج الإنسان من داخله أيضاً كي لا يجرفه تيار الأثرة ولا يتحكم فيه حبه لذاته وعكوفه عليها.

والإسلام يعالج ثورة النفس عندما تسيطر عليها الغريزة الجنسية أو الطمع في المال أو تضعف أمام إغراء الخمر، وينصح لها ألا تتجسس وأن يتقي الآخرون شرورها، هكذا يأخذ الأسلام المسلم بقانون سلوكي صارم لا يتسمح فيه ولا يترخص ولا يتسهل هو قانون الإنسان الكامل التي قهرت فيه الروح المادة، وانتصر في داخله الخير علي الشر، وهذا القانون يقوم علي كبح نزوات النفس وتعلية غرائزها قصداً لإصلاحها هي وللإصلاح بها.

فهل يتيسر التقيد بهذا القانون دون عون من الإرادة وهل تظل الإرادة بعد التقيد به كما كانت قبله؟

ويتساءل أيضاً هل يربي الإرادة شيء كما يربيهها جماح الغضب عندما تستبد شهوته بالإنسان فإذا هو لا يدري ما يقول ولا ما يفعل، وهل يربي الإرادة شيء كما يربيهها إمساك اللسان عن كل ما لا يجمل الإنسان أن يقوله طعناً كان أو لعناً أو فحشاً.

وهل يربي الإرادة شيء كما يربيهها صون اليد عن الإيذاء بكل ألوانه، وهل يربي الإرادة شيء كما يربيهها إعفاف الناس عما يليق بها والترفع بها أن تحقد أو تحسد، والتواضع للإخوان من غير ضعة وتعويدها الصدق والوفاء والأمانة، ويقول: فكل الفضائل والامتناع عن الرذائل تربي إرادة الإنسان إذ ترسم له منهج سلوكه في الحياة ويتساءل، وهل يلتزم مسلم هذا المنهج في الحياة ولا يكون قوي الإرادة؟^(٧٩).

٢- الاجتماع مع الخلق:

الاجتماع مع الخلق يربي الإرادة، ويقول سعيد حوي مؤكداً هذا المعني: للاجتماع في الإسلام أهمية كبيرة لما يترتب عليه من آثار حميدة بل هو لابد منه في حالات كثيرة فضلاً عن تحصيل خيرات كثيرة، فهناك الاجتماع في الصلاة أو لأمر يهم المسلمين، وهناك الاجتماع علي ذكر أو مذكراه، وهناك الاجتماع علي

قراءة القرآن وهناك الاجتماع علي العلم، والذي تترتب عليه مصالح كثيرة من انبعاث همة أو تعرف علي حكم جديد أو تذكر لقضية ينبغي تذكرها^(٨٠). وهذا بالطبع يساعد علي تربية الإرادة والسير إلي الله من خلال انبعاث الهمة الذي قد ينجم عن الاجتماع والذي يقوي إرادة الإنسان ورغبته نحو الاستزادة من العلم والمعرفة أو تعرف الجديد أو مذاكرة القرآن أو الحرص علي أداء الصلاة في جماعة أو المشاركة في الأمور والقضايا التي تهم المسلمين.

٣- الفتوة أو خدمة الغير:

أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبدأً في أمر غيره وتعني الصفح عن عثرات الأخوان وألا تري لنفسك فضلاً على غيرك وأن تتصف ولا تتنصف، وألا تتأفر فقيراً ولا تعارض غنياً وأن يستوي عندك المقيم والطارئ وأن تترك ما تهوى لما تخشى، وألا تميز بين أن يأكل عندك ولي أو كافر وهي كف الأذى وبذل الندي، وهي الوفاء والحفاظ وهي فضيلة تأتيها ولا تري نفسك فيها، وألا تهرب إذا اقبل السائل وألا تحتجب من القاصد، وهي إظهار النعمة وإسرار المحنة وهي ترك التمييز^(٨١). وبالتأمل في هذه الأقوال التي أوردها القشيري لمجموعة من المسلمين في رسالته عن معنى الفتوة نجد أنها كلها فضائل تتعلق بخدمة الغير. وهي تربي إرادة الإنسان من منطلق أنها أفعال في جلبها ضد هوى النفس، وكل ما هو ضد هوى النفس، يربي الإرادة خاصة فضيلة الجود والسخاء.

وفي حياة الرسول وأصحابه كثير من مظاهر الخدمة في الله، خدمة الصغار للكبار والعكس وخدمة الأصحاب لبعضهم البعض وخدمة الأهل وخدمة الوفود، ولا يأنف أحد من خدمة الآخر لأن تواضع الأخوان لبعضهم ومحبتهم في الله تزيل الأنفة والكبرياء في التعامل فيما بينهم.

وقد فطن أهل السير إلى الله إلى أهمية الخدمة في تهذيب النفس وتربية الإرادة فلاحظوا أن الإنسان الذي لا يأنف من خدمة الكبار والصغار إنسان تحرر من أمراض كثيرة كالعجب والخيلاء والكبر وتحقق كمجموعة من الأمور كالتواضع والاحترام والإكرام للمسلمين واعتبروا خدمة الإخوان والشيوخ في الله من أقرب الطرق التي توصل إلى الله لما يتحقق به المتبرع بالخدمة من مشاعر مخلص

فمحبتة لله عز وجل، ومن ثم كانت الخدمة عندهم أدباً عاماً والخدمة في الله دواء للنفس وغذاء للقلب من جهات متعددة^(٨٢).

٤ - تغيير المنكر:

تتجلى المسؤولية الاجتماعية في الإسلام في تغيير المنكر " ما من رجل يكون في قوم، يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب من قبل أن يموتوا" أخرجه أبو داود.

وهنا يتشدد الإسلام في النهي عن المنكر فيحتمه على كل مسلم بما يستطيع حتى الذي يعجز عن تغييره بيده ولسانه، لا يعجز عن تغييره بقلبه، بمعنى مقاطعة الذين يؤتون المنكر والبعد عنهم، وكذلك ينهى الإسلام عن المجاهرة بالمعصية ويأمر بالنهي عن إتيان المنكر مع الآخرين حتى مهما بدا يسيراً أو تافهاً^(٨٣)، وهذه كلها تعمل على تقوية الإرادة وتربيتها.

٥ - إيتاء الزكاة:

يقول مصطفى زيد: إن فرض الزكاة في الإسلام معناه أن قدرأ معيناً من مال الغني قد أصبح مملوكاً للفقير إذا مر على هذا المال - وهو في ملك الغني - عام كامل.

ولكن هل يقبل الإنسان بسهولة أن يعتبر مستحقي الزكاة شركاء له في ماله وإن كان نصيبهم في هذه الشركة ضئيل جداً خاصة وأن الله فطر الإنسان على حب المال والحرص عليه كما أن كنز المال شهوة من الشهوات التي يحبها الإنسان ويزين له ذلك.

ويتساءل مصطفى زيد: أيمن بعد هذا كله أن يتنازل الإنسان عن قدر من ماله للفقراء والمساكين راضياً، وأن يعتبرهم شركاء له في هذا المال حتى يعزل هذا القدر عن ماله ويؤتيهم إياه رغم حبه للمال (حباً جماً) وشحه به نتيجة لهذا الحب، ويقول: وما لم تقاوم هذا الحب إرادة قوية فلن يؤدي هذا الحق ومن هنا فأخراج الزكاة انتصار للإرادة كما أن من الغايات التي قُصد إليها - بفرض الزكاة - تربية الإرادة.

وحين تترى الإرادة يستطيع الإنسان أن يؤمن بوجود الزكاة وبأنها حق للفقير ويستطيع أن يؤمن بوجود الزكاة، وبأنها حق للفقير ويستطيع أن يقهر حب المال وشهوة الشح^(٨٤).

٦- الحداء (الإنشاد):

عرف الحداء أو الإنشاد في حياة رسول الله ﷺ والصحابة أثناء العمل، وحدا بعضهم أثناء السير أو المشي، وشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياناً في الحداء (وقال الصحابة الشعر). وكان قسم من هذا الشعر تتشده الجوارح أو ينشده الرجل أثناء سير أو عمل، ومن المألوف عند العرب أن يتغنوا بالشعر ومعروف أن سماع الشعر إلقاء أو إنشاداً كان موجوداً قبل عهد الرسول إماماً في مناسبة أو وقت راحة أو في وقت فرح أو عرس، والشعر كان كالمح في الطعام في حياة العرب والإنشاد له محل كذلك ولكنه كان في هذه الحياة الحافلة بجلائل الأمور. وفي حياة الصحابة نجد شعرهم يملأ حياتهم في صراعهم مع الكفر، وفي تعبيرهم عن أشواقهم فهو يغطي الحياة الإسلامية كلها، ويحرك مجموعة المشاعر وهو تارة يحرك مشاعر جهاد وتارة تعبيراً عن مشاعر حنين لوطن وتارة هو تعبير عن عزة مسلم وتارة هو رثاء حار وتارة هو توجه إلى الله، ويضيف سعيد حوى أن الإنشاد الذي يغطي مجموعة العواطف إذا روعي فيه هذه المعاني ولم يؤثر وجوده على واجب وقت أو أدب فإنه يكون مهيجاً على السير إلى الله بكل لوازم السير من رغبة في الكمال إلى حض على الجهاد إلى تثبيت على الطريقة إلى تهيج على العمل^(٨٥)، وهو في كل ذلك يربي الإدارة.

٧- المطالعة في كتب السير إلى الله:

المطالعة في كتب السير إلى الله أمثال بعض الأئمة والصالحين تربي الإرادة، وهؤلاء إذا قرأ الإنسان لهم يفتن لقضايا في السير إلى الله فتتحرك بذلك همته.

والمطالعة في كتب هؤلاء العلماء والفقهاء الذين تكلموا في أمر السير إلى الله تحرك الهمة نحو الله بشكل عجيب.

والمطالعة في كتب السير إلى الله تهيج على السير إليه وتساعد على الكمال وكذلك قراءة قصص السائرين إلى الله يكاد يكون فعلها منقطع النظير في تحريك الهمة وتهيج السير إلى الله^(٨٦)، وهذا لب تربية الإرادة.

٨- الحرب على النفاق:

يمكن تربية الإرادة من خلال الحرب على النفاق ويرياً الإسلام بالمسلم أن يكون منافقاً أو تكون فيه صفة من صفات المنافقين. فإن النفاق ضعف وجبن واستخذاء، ويرفض الإسلام العبودية لغير الله ويجد في إحسان عبوديته لله عزة وكرامة. ولا يستعبده هوى أو طمع أو جاه زائف أو مجد رخيص فيشعر بأنه أكبر من أن يظهر غير ما يبطن أو يتملق إنساناً أو جماعة، أو يتظاهر بالود لحاكم أو جار أو زميل وهو يحقد عليه ويحسده ويتمنى له السوء، بحيث يكون صادقاً لا يكذب أو وفياً لا يخلف وعده، أميناً لا يخون ولا يفجر إذا خاصم، وهذه كلها خطوات في تربية الإرادة، تروضها الاستجابة لتحكيم العقل، وتستجيب عن رضا لما تحكم به، وتمنحها القوة والحسم وتهب لها الجرأة في الحق والشجاعة.

والإسلام ينهى الإنسان أن يرثي بعبادته فلا يصلي ليشتهر أمام الناس بالنتقوى، ولا يصوم ليقال أنه صوام ولا يزكي ليقال كريم ولا يحج لينادي به الناس بالحاج، وبهذا الأسلوب يربي الإسلام الإرادة من خلال الحرب على النفاق وعلى الرياء والتي هي حرب على انحلال الشخصية وضعف الإرادة^(٨٧).

دور الشيخ أو العالم في تربية الإرادة:

في الفكر الإسلامي نجد أن الشيخ أو العالم البصير في الأمور، يختصر الطريق للطالب سواء كان الطريق لتحصيل العلم أو لصلاح القلب أو للتخلص من مرض نفسي، والشيخ يجنب الطالب الخطأ في الفهم وفي السلوك وفي التصورات التي يمكن أن تنشأ حال سير الطالب بمفرده، كما أن الطالب يأخذ من الشيخ سمات العلماء وأدبهم، كما أن قبول الطالب أن يأخذ العلم أو التربية عن أهلها يحرره من كثير من الأمراض كالغرور، وتدل النصوص الإسلامية على أهمية الانتفاع بالشيخ أو العالم إذا كان صالحاً وداعياً إلى هدى لأن التجمع حوله والمشاركة في حلقات العلم والذكر والتأخي في هذه الأجواء تترتب عليها مصالح كثيرة في الدنيا والآخرة^(٨٨).

ولقد كانت إرادة الشيخ الحرة هي التي تملى على الطالب القواعد الخاصة التي ينبغي عليه إتباعها، وإذا انضم الطالب إلى الجماعة خضع لسلطة الشيخ لأن طاعته واجب أساسي لا يجوز التساهل فيه طالما ارتضاه الإنسان الطالب لنفسه شيخاً أو عالماً.

وكان الطلاب يلتقون ببعضهم في حضور الشيخ وفي الأعمال الجماعية، وإذا خرجوا للطريق خرجوا جماعات غاضين أبصارهم، وكانت الحياة عند الشيخ منظمة بدقة يتم فيها الحفاظ علي الصلاة في مواعيدها بالإضافة إلى حلقات العلم والذكر والإنشاد، والشيخ يحدد أوقات لعامة الناس وأوقات أخرى لطلاب العلم وأوقات أخرى للمخصوصين من الطلاب أو المتفوقين لأن لكل صنف نوع من التربية والتعليم والرعاية يختلف عن الآخر^(٨٩).

وكان الشيخ يفسر شواهد نموذجية على الفضيلة والولاية من أجل حث المبتدئين على بذل الهمة في سلوك طريق الكمال، وكان يسرد قصص الصالحين الذين من الله عليهم من عباده، وكان يشرح مبادئ التربية للطلاب وتأثير الذكر على النفس، وكان يأمر الطلاب بقراءة بعض الكتب المربية مثل الرسالة للقشيري أو إحدى رسائل المحاسبي وكان يقوم بشرحها للطلاب، وكان الدرس في الصباح ثم تقام صلاة الظهر، وبعد الظهر كان الطلاب يكفون بأعمال ورياضيات ومجاهدات وذكر منفرد حسب ما يقرر الشيخ لكل طالب، وكان الشيخ ينصح الطلاب خاصة المبتدئين أن يكسبوا قوتهم من حرفة يحترفونها وكان الطلاب يخدم بعضهم بعضاً ولا بأس من قيامهم بأعمال منزلية مثل الطبخ والغسل وتقديم الطعام^(٩٠).

هذه صورة مختصرة عما كان يحدث بين الشيخ والطلاب لعلها تبرز أهمية دور الشيخ أو العالم في التربية والتعليم والتي تتضمن بالطبع تربية الإرادة.

١ - الصفات المهنية للشيخ التي تؤهله للقيام بدوره التربوي:

هناك مجموعة من الصفات المهنية التي تؤهل الشيخ للقيام بدوره ووظيفته كمرب ومعلم ومرشد حتى يتمكن من نجاحه في القيام بمهامه التربوية والتعليمية والإصلاحية ويمكن رصد هذه الصفات فيما يأتي:

الصدق وابتغاء الفضل من الله والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والتأسي برسول الله وتذكير الطلاب بآيات الله في الكون، ويري النفس ويطهرها من عيوبها ويخلصها من أمراضها، ويعلم الطلاب كل ما يلزمهم من أمر دينهم، وهذا يقتضي منه أن يكون عالماً بالكتاب والسنة محيطاً بعلوم الإسلام والثقافة الإسلامية، عارفاً بعصره وبالتاريخ، قادراً على نقل القلب البشري إلى آفاق الاستشعار لكثير من أمور المستقبل، يجمع بين العلم والعمل والمال ليكون معلماً

مريباً من خلال القدوة يتحقق بصفات الصادقين التي من جملتها الجهاد بالنفس والمال طبيب نفساني يعرف آفات نفس المتعلم وعيوبها وما يناسبها من مجاهدات ورياضيات وأوراد وأذكار وأعمال لإصلاحها من عيوبها وتركبتها وتطهيرها من أدرانها، فهو الطبيب وهو الصيدلاني الذي يركب الدواء، وهو عارف بالطب والسجيا والأمزجة والإختلاطات النفسية والقلبية وأصناف الخلق وأنواع القلوب وأمراضها وما يلائمها من أدوية^(٩١).

هذه كلها صفات مهنيه تسهم فى نجاح المعلم للقيام بأدواره ووظائفه بصفة عامة وتربية الإرادة بصفة خاصة.

وعلى الشيخ أن يراعى الفروق الفردية بين الطلاب وألا يسلب إرادتهم وهذه مسألة تساعد فى تربية الإرادة، ومع أن طاعة الطلاب للشيخ واجبة فإن عليه ألا يجعل كلامه أساساً لإرادة الطلاب ولا يتكلم إلا بقدر حاجة الطالب إلى الكلام من مناقشة أو استفسار أو مذاكرة، وعليه أن يسير كل مرید على همته وعلى حسب الطريقة المناسبة لإرادته من طول أو قصر ومن صعوبة أو سهولة.

والشيخ الذى يعامل الطلاب معاملة واحدة أشبه بالطبيب الذى يعالج جميع الأمراض بعلاج واحد بل عليه أن يراعى حال الطالب ومزاجه وما تحتل بنيته من رياضة واختلاف الفطرة بين الأفراد حتى يعطى كل واحد منهم الطريقة الملائمة لصالح حاله وتربية إرادته^(٩٢).

فدور الشيخ أصعب من دور الطبيب لأن سقم الجوارح والأجسام أسهل من سقم القلوب والإفهام، ويدلل القشيري على ذلك بآراء بعض المسلمين منها. إذا اختبر الشيخ الطالب وجربه وعرف منزلته عليه أن يلقيه ذكراً من الأذكار الملائمة لحاله، فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يستوي قلبه مع لسانه ثم يقول له إثبت على هذا الذكر كأنك مع ربك ثم يأمره أن يكون عي طهارة وألا يكون نومه إلا غلبة، وأن يقلل من غذائه بالتدرج، وألا يأمر بما يصعب عليه لأن المنبت (الذى حمل دابته ما لا تطيقه فماتت فى الطريق) لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وبعد ذلك إن رأى فى الطالب كياسة يحيله على الحجج العقلية وإن تفرس فيه القوة والثبات أمره بالصبر واستدامة الذكر^(٩٣).

ومما سبق يتضح أن الشيخ أو المعلم عليه أن يراعى إرادة الطالب وألا يسلبها بل يوجهها فى الخير حتى يتمكن من تربية إرادته، بالإضافة إلى مراعاته الفروق الفردية بين الطلاب، فهناك من يتسم بالكياسة والفتنة وهناك من يتسم بالقوة والثبات.. إلخ وعليه أن يراعى ذلك فى توجيه طلابه وتعليمهم وتربية إرادتهم.

٢- الصفات والأفعال التي ينبغى أن يتحلى بها الطلاب مع الشيوخ:

وعلى المعلمين أن يلزمهم بها و هناك مجموعة من الصفات والشروط والآداب التي ينبغى أن يتصف الطلاب بها ويلتزموا ويتأدبوا بها حتى يتمكنوا من النجاح فى التربية والتعليم وهذه تعين الشيوخ على النجاح فى تحقيق تربية الإرادة، وبالطبع فعلى المعلمين أن يلزموا الطلاب بهذه الصفات والأفعال:

ومن هذه الصفات: ينبغى أن يكون الطالب مع شيخه كما كان الصحابة مع الرسول فلا يمشی أمامه ولا يضحك قبله ولا يسبقه بالقول ويلزم السكوت فى حضرة شيخه، ويتطلع إلى قوله ولا يستعجل بالإقدام على كلامه ويكون مستعداً لسماعه وأن يراعى خطرات شيخه فى جزئيات الأمور، وأن يرجع إليه فى كل أمر يعترض له، ولا يخالفه ولا يعترض عليه ولا يكتم سره عن شيخه ويحسن الظن به ويراعى الله فيه، ولا يغضب إذا جفا عليه الشيخ ويسلم أمره لشيخه ويخدمه ويؤدى حقه، وأن يكون له كالابن البار ويسمع كلامه ويعمل به على وجه الجزم واليقين، ويتبع أمره ويجتنب نهيه ويتمنى لشيخه الخير كله، ويؤثره على نفسه ويتقرب إليه ويطلب منه أن يدعو إليه ويلتزم السكينة والوقار فى حضرته، ولا يعترض عليه ولا يكثر مناقشته ويكون دائماً على شوق إليه وشدة تعظيمه، وإذا رأى منه فتره رفع عنه المذاكرة وإذا رأى منه نشاطاً سأله عما يحتاج إليه وإذا قام من مجلسه لا يوليه ظهره بل يقوم مواجهاً له حتى يتوارى ولا يقتحم خصوصياته، وإذا وبخه شيخه لا بد أن يتحمل^(٩٤).

فهذه الآداب كلها ينبغى أن يلتزم بها الطالب مع الشيخ وبالطبع فالتأدب بها نحو العالم أو الشيخ تسهم فى نجاح مسألة التربية والتعليم بصفة عامة وتربية الإرادة بصفة خاصة وإلا فكيف لطالب أن يتعلم من معلم وهذا الطالب لا يلتزم الآداب نحو معلمه.

ومن الأفعال والصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الطالب تجاه المعلم أو العالم أو الشيخ: ألا يكون بقلبه اعتراضاً عليه وألا يخالفه في كل ما يشير عليه لأن الخلاف قد يضر بالطالب خاصة في بداية أمره على اعتبار أن الشيخ عالم بحال الطالب.

ويجب على الطالب حفظ سر شيخه وألا يبوح بسرّ نفسه إلا لشيخه، وعليه أن يصارح شيخه بوساوسه وخواطره حتى يستطيع استئصال ما فيها من مخاوف وشكوك ويساعده على معرفة كنه علته الباطنة وفي ترقية نفسه وتربية إرادته^(٩٥).

ويوضح أسين بلاسيوس أهمية هذه الآداب وامتثال الطالب لأوامر الشيخ في تربية الإرادة بقوله وعلى المرید امتثال أمر الشيخ فهو يقوم مقام المرشد في توجيه الطالب وعليه إذن امتثال أمره، والتحبب إليه والتزام الأدب معه، وإذا كانت الغاية من تربية الإرادة هي تفريغ القلب من كل ما سوى الله ابتغاء الأُنس به فمن الواضح أنه لا يكفي المرید الوصول إلى هذه الغاية أن يكبت شهواته ويقمع أهواءه دون أن يستأصل جرثومة هذه الشهوات وهي حب الذات والهوى، وخير وسيلة لقمع الهوى هي الطاعة لإرادة الغير، وهذه الطاعة ينبغي أن تكون عمياء مخصصة وغير مشروطة، والمرید يمتثل لأوامر الشيخ حرفياً دون تأويلات ولا إجابات ولا مناقضات ولا اعتذارات^(٩٦).

وبالتالي فعلى المرید أن يتأدب تجاه شيخه بكل الآداب المشار إليها بل ويستسلم لما يحكم به عليه شيخه من عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يكلفه أو أمر ما، وعلى الطالب أيضاً إذا اضطر أن يسافر فليفعل، حتى يجد من يتعلم على يديه ويتأدب به ويقوم عليه ويلتزم نحوه بتلك الآداب التي تعينه على التعلم وتسهم في تربية إرادته في نفس الوقت.

النتائج والتوصيات:

أولاً - النتائج:

جاء من أهم نتائج الدراسة ما يلي:

- الإرادة تعني تصميم على أداء فعل محدد أو تحقيق هدف معين ويلزم لأداء هذا الفعل اتخاذ وسائل.
- الإرادة ميل يعقب اعتقاد النفع.
- الإرادة ثمرة للمعرفة والتجربة والتربية.

تربية الإرادة في الفكر الإسلامي

- الإرادة تتطلب جهد نفسي وذهني ووجداني وبدني.
- هناك أنواع للإرادة مثل إرادة الاعتقاد وإرادة الحياة وإرادة الخير وإرادة القوة.
- الإرادة في الإسلام أما سيئة وإما حسنة والإسلام يدعو إلى تربية الإرادة الحسنة للأمور التي يقدر الإنسان عليها.
- الإرادة في الفكر الإسلامي تعني مقدمة للقصد والسير، وتأتي نتيجة معرفة وعلم وتمني وتتطلب همة وجهد ونشاط.
- هناك مساعدات لتربية الإرادة في الفكر الإسلامي منها حضور مجالس العلم والذكر وقراءة القرآن والمذاكرة وألا نحمل النفس أو القلب أو العقل أو الجسم فوق طاقتهم.
- ترجع أهمية تربية الإرادة في الفكر الإسلامي إلى أنها تمكن الإنسان من التغلب على الهوى وعلى النفس وتقوى عزيمته وتجعله يحدد هدفه ويحدد الخطة اللازمة لتحقيق هذا الهدف.
- تربية الإرادة في الفكر الإسلامي تعني تنمية التصميم والقدرة على أداء فعل معين أو تحقيق أهداف معينة.
- غاية تربية الإرادة في الإسلام تتمثل في: السلامة والاستقامة والحكمة، الخلق الحسن، حسن الأدب.
- يمكن تربية الإرادة في الفكر الإسلامي من خلال الإنسان حال مع الله ومع النفس ومع الغير ومع الشيخ (المعلم).
- بالنسبة لحال الإنسان مع الله فيتمثل ذلك من خلال مجموعة من الأفعال أو الصفات التي يقوم الإنسان مع ربه وتتمثل في المعرفة بالله، المراقبة، وتحري الخواطر، المحبة والولاية، الحياء من الله، التقوى والخوف، الورع والخشوع، الإخلاص والصدق، الاستقامة والتخلي بالفضائل، العبودية، التوبة، الصلاة، الصوم، الحج، الذكر، الشكر، السير إلى الله.
- بالنسبة لحال الإنسان مع نفسه فيتمثل في مجموعة من الأفعال أو الصفات التي يقوم بها الإنسان أو يتصف بها مع نفسه وتتمثل في: مكابدة الهوى، مجاهدة النفس، مخالفة النفس، محاسبة النفس، اتقاء مكر النفس، علاج آفات النفس، تصريف الطاقة واستثمارها، صلاح القلب، الصبر، الزهد.

- بالنسبة لحال الإنسان مع الخلق فيتمثل في مجموعة من الأفعال أو الصفات التي يقوم بها الإنسان أو يتصف بها مع الخلق وهي عبارة عن: التحلي بالفضائل نحو الخلق، الاجتماع معهم، الفتوة أو الخدمة لهم، تغيير المنكر، أداء الزكاة، الحياء أو الإنشاد، المطالعة في كتب السير إلى الله، الحرب على النفاق.

- بالنسبة لحال الإنسان مع الشيخ (المعلم) ينبغي لتربية الإرادة في الفكر الإسلامي أن يتخذ الإنسان شيخاً أو أستاذاً يتلمذ على يديه ويتربى ويتعلم. وهناك مجموعة من الأفعال أو الصفات التي يقوم بها الشيخ أو يتصف بها لكي يتمكن من أداء دوره التربوي لتربية إرادة الطلاب أهمها الصدق وابتغاء الفضل من الله والدعوة بالحكمة ومراعاة الفروق الفردية خاصة فيما يختص بقلوب الطلاب.

هناك مجموعة من الأفعال أو الصفات التي ينبغي أن يقوم بها الطلاب أو يتصفوا بها تجاه شيخهم أو أستاذهم حتى تتربى إرادتهم ومن هذه الأمور أن يكون مع معلمه مثل صحابة الرسول معه ويكون مستعداً للتعلم والسماع ويؤثر أستاذه على نفسه وألا يعترض عليه باستمرار وأن يمثل لأوامره وتعاليمه وأن يحفظ سرّه.

ثانياً - التوصيات:

توصي الدراسة الحالية بما يلي:

- إبراز أهمية الإرادة في حياة الإنسان خاصة في ظل المغريات والمتغيرات المعاصرة التي تحد وتضعف من إرادة الإنسان.
- الاهتمام بمسألة تربية الإرادة منذ الصغر.
- الاهتمام بتربية الإرادة في التعليم خاصة التعليم الأساسي باعتباره المرحلة التي تتشكل فيها ملامح شخصية الإنسان.
- الاهتمام بتربية الإرادة في التعليم الثانوي على اعتبار أن مرحلة التعليم الثانوي تعتبر مرحلة حرجة في حياة الإنسان ويحتاج فيها إلى تربية الإرادة.
- الاهتمام بتربية الإرادة في التعليم الجامعي، من منطلق أن تربية الإرادة مسألة يمكن أن تمتد إلى سائر العمر.

تربية الإرادة فى الفكر الإسلامى

- الاهتمام بتربية الجوانب العقائدية من منطلق أنها أحد الجوانب الهامة في تربية الإرادة ومن هذه الجوانب معرفة الله ومراقبته ومحبته والحياء والخوف منه والإخلاص له.
- الاهتمام بتربية الجوانب النفسية على اعتبار أنها تدعم تربية الإرادة وهي أحد جوانبها ومن هذه الجوانب مجاهدة النفس ومخالفتها ومحاسبتها.
- الاهتمام بتربية الجانب القلبي (الضمير) على اعتبار أنه يمثل أحد جوانب تربية الإرادة.
- استثمار العبادات في تربية الإرادة بمعنى أن يدرك المربون أهمية العبادات مثل الحج والصلاة في تربية الإرادة.
- استثمار علاقة الإنسان بالغير في تربية الإرادة وعلى سبيل المثال تحمل أذى الغير أو مساعدتهم.
- استثمار الجوانب الوجدانية في تربية الإرادة من خلال الذكر والإنشاد أو الحداء فهذه أمور تهذب الوجدان الإنساني وتسهم في تربية الإرادة، ويمكن استثمار الشعر أو تدريس الشعر والأدب في ذلك.
- استثمار الاطلاع على الكتب والقراءة من خلال الانترنت في تربية الإرادة، فمثل هذه الأمور تحتاج إلى صبر وجهد وبالتالي فالاستمرار فيها يربي الإرادة.
- استثمار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تربية الإرادة للإنسان.
- استثمار طاقة الشباب وتصريفها في أمور مفيدة حتى تنهذب إرادتهم وتنزى.
- إبراز آفات النفس في المناهج وكيفية علاجها والتغلب عليها لأن هذه الآفات تضعف الإرادة، وعلاجها يقوي إرادة الإنسان ومن هذه الآفات: الكبر- الغرور- العجب- الرياء- الوسواس.
- استثمار الصيام في تربية الإرادة على اعتبار أنه فريضة إسلامية، ويساعد على الامتناع عن الشهوات والصبر عليها وهذا يقوي الإرادة.
- استثمار الزكاة والصدقة في تربية الإرادة على اعتبار أن هذه فريضة إسلامية، وأنها ضد شهوة الإنسان ورغبته في جمع المال والاحتفاظ به، وبذلك تقوي الإرادة.

- تفعيل دور المعلم في تربية الإرادة من خلال تفعيل نظام رائد الفصل أو رائد المجموعة في المدارس والجامعات.
- تفعيل دور المعلم في تربية الإرادة من خلال إكسابه مجموعة من الصفات المهنية اللازمة لقيامه بهذا الدور.
- تفعيل دور المعلم من خلال قيامه بإبراز وإكساب الطلاب مجموعة من الصفات والأفعال اللازمة لتربية إرادتهم.
- تفعيل دور المعلم من خلال قيامه بتربية الاستقامة والتحلي بالفضائل واستثمار ذلك في تربية الإرادة.
- عمل أبحاث تطبيقية حول تربية الإرادة، خاصة أننا شعب لدينا هممة و طاقة وتنقصنا تربية الإرادة.

المراجع

- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،
١٩٠٣ هـ ١٩٨٣ م، ص ١٤.
- المرجع السابق، ص ١٥.
- سعيد حوى: تربيته الروحية، دار الهجرة، سوريا، دمشق، د. ت، ص ص ١٦٣،
١٦٥.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإدارة، دار التيسير، القاهرة، ٢٠٠٩، ص
ص ٣٤ - ٣٦.
- المرجع السابق، ص ٤٠
- القشيري (أبي القاسم عبد الكريم) الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحلیم محمود،
محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، د. ت، ج ١، ص ٤٣٤.
- عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، دراسات ونصوص، دار القلم،
الكويت، ص ص ١٢٠-١٢١.
- سعيد حوى، تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ص ١٦٧ - ١٦٨.
- مصطفى زيد، منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ٣٨.
- المرجع السابق: ص ٨٠.
- المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص ٦.
- سعيد حوى: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ٢٨٢.
- المرجع السابق، ص ٢٨٣.
- القشيري، الرسالة، ج ٢، ص ص ٤٩٧ - ٤٩٩.
- المرجع السابق، ص ص ٥٦٠-٥٦٢.
- المرجع السابق، ص ص ٦٠١ - ٦٠٣.
- عامر النجار، في التصوف النفسي، نقلاً عن حقيقة الأدمية للترمذي، مخطوط،
ص ١٠.
- القشيري، الرسالة، مرجع سابق، ص ص ٥٧٨ - ٥٨٤.
- المرجع السابق، ص ٥٨٢ - ٥٨٥.
- المرجع السابق، ص ٤٨٤ - ٤٨٦.
- المرجع السابق، ص ٤٦٣ - ٤٦٤.
- المرجع السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
- المرجع السابق، ص ص ٦١٨ - ٦٢٢.

- ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ترجمة، تحقيق: حسن أحمد السيد، دار ابن حزم، ٢٠٠٣، ص ٣.
- القشيري، الرسالة ص ٥٢٢ - ٥٢٤.
- المرجع السابق، ص ٤٥٥ - ٤٥٨.
- المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥.
- المرجع السابق، ص ص ٣٤٣ - ٣٤٨.
- المرجع السابق، ص ٣١٤.
- المرجع السابق، ص ٣٨٢.
- المرجع السابق، ص ص ٣٥٣ - ٤٦٠.
- المرجع السابق، ج ٢ ص ٤٤٣ - ٤٤٦.
- المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٠.
- المرجع السابق، ج ٢، ص ص ٤٤٠ - ٤٤٢.
- محمد علي عزب: التربية الخلقية في الفكر الصوفي الإسلامي، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٣، ص ص ١٨٦ - ١٨٨.
- القشيري، الرسالة، ج ٢، ص ٤٣٢.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ص ٧٨-٧٩.
- القشيري، الرسالة، مرجع سابق، ج ١، ص ص ٢٧٦ - ٢٧٧.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ٤٦.
- المرجع السابق، ص ص ٥٥ - ٥٨.
- القشيري، الرسالة، ج ٢ ص ص ٤٦٥ - ٤٦٧.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ص ٦٧-٦٨.
- القشيري، الرسالة، مرجع سابق، ج ١، ص ص ٤٣٦ - ٤٤١.
- سعيد حوي: تربيتنا الروحية، مرجع سابق، ص ص ١٥٩-١٦١.
- عامر النجار: في التصوف النفسي، مرجع سابق، ص ٣٩٤.
- القشيري، الرسالة، ج ١ مرجع سابق، ص ص ٢٩٠ - ٢٩١.
- عبد الفتاح بركة: مرجع سابق، ص ص ٢٢٤-٢٢٦ نقلًا من نص مكابدة الهوى للحارس ابن أسد المحاسبي.
- سعيد حوي: تربيتنا الروحية، مرجع سابق، ص ص ١٤٦-١٤٧.
- الحارث بن أسد المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، مراجعة وتقديم عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ص ٤٥.
- أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف، ١٩٦٩، ص ٢٣٣.

- سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ص ١٤٨ - ١٥٠.
القشيري: الرسالة، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٠.
المرجع السابق، ج٢، ص ٣٤١.
سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ص ١٥٦ - ١٥٧.
عامر النجار: في التصوف النفسي، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
القشيري، الرسالة، مرجع سابق، ج١، ص ص ٣٩٣ - ٣٩٥.
عامر النجار، التصوف النفسي، مرجع سابق، ص ص ٣٣٤ - ٣٣٥.
الحارث ابن أسد المحاسب: الرعاية لحقوق الله، مرجع سابق، ص ص ٥٢ - ٥٣.
المرجع السابق، ص ٤١.
عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، دراسات ونصوص، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣، ص ٢٨٧.
الحارث ابن أسد المحاسب: الرعاية لحقوق الله، مرجع سابق، ص ٣٢٠.
عامر النجار: في التصوف النفسي: دراسات ونصوص، ص ص ١٩٧ - ٢١٠.
نقلا عن أستاذ السائرين، الحارث ابن أسد المحاسب، تحقيق عبد الحلیم محمود، طبعة دار الكتب الحديثة، ١٩٧٣، ص ١٤٧ وما بعدها ص ص ١٨٩ - ١٩٢.
المرجع السابق، نقلا عن الوصايا للمحاسب، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مطبعة صبيح، ١٩٦٥، ص ص ٦٨ - ٦٩.
المرجع السابق، ص ص ١٩٢ - ١٩٤.
الحارث بن أسد المحاسب، الرعاية لحقوق الله، مرجع سابق، ص ص ٤٩ - ٥٠.
المرجع السابق، ص ٥٥.
عامر النجار: في التصوف النفسي، مرجع سابق، ص ١٦٠.
المرجع السابق، ص ص ١٧٤ - ١٧٨.
محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، دار الشروق القاهرة، ج٧، ص ١٩٨٧ ص ص ١٢٠ - ١٢٢.
مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ٣٢.
القشيري، الرسالة، مرجع سابق، ج١، ص ٣٤٨ - ٣٧٠.
محمد الشحات الصيبي وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ط٢، دار الخريجي، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م، ص ٢٣٢.
شمس الدين محمد بن أبي بكر، بن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دار الخليفة، مدينة الأندلس، الزهراء، د.ت، ص ١.
مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ص ٦٣ - ٦٤.

- المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٤.
- القشيري، الرسالة، ج١، مرجع سابق، ص ٣٢٥ - ٣٣٠.
- عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، مرجع سابق، ص ٢١٨-٢٢٠.
- محمد على عزب: التربية الخلقية في الفكر الصوفي الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٨٩.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ٤٣-٤٤.
- سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ١٦٨-١٧٠.
- القشيري، الرسالة، ج٢، مرجع سابق، ص ٤٧٣-٤٧٤.
- سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ٢٤٨-٢٨٥.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٥.
- المرجع السابق، ص ٤٧ - ٤٨.
- سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ١٧٥-١٧٧.
- المرجع السابق، ص ١٨٠ - ١٨١.
- مصطفى زيد: منهج الإسلام في تربية الإرادة، مرجع سابق، ص ٦٩-٧١.
- سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ٢٤٢.
- أسين بلاثيوس، بن عربي، حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩، ص ١٣٣-١٣٥.
- المرجع السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.
- سعيد حوي: تربيته الروحية، مرجع سابق، ص ٢٢٦.
- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ص ٧٣٨.
- القشيري، الرسالة، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٣٧.
- محمد على عزب: التربية الخلقية في الفكر الصوفي الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٩٠-١٩٢.
- عامر النجار: في التصوف النفسي، مرجع سابق، ص ٤١.
- أسين بلاثيوس، ابن عربي، مرجع سابق، ص ١٤٠.